

الفصل الأول:

"روافد السيميائية السردية بحث في المفاهيم"

أولاً: الروافد المرجعية لنظرية غريماس السيميائية:

- 1- الرافد الفلسفي.
- 2- الرافد اللساني.
- 3- الرافد المعرفي.

ثانياً: نحو تحديد مفاهيم السيميائية السردية:

- 1- مرحلة المكاسب وسيميائية العمل.
- 2- مرحلة المشاريع وسيميائية الأهواء.

عرفت النظرية السيميائية تطورا ملحوظا مع ميلاد السيميائية السردية لمدرسة باريس (L'Ecole de Paris) بزعامة "غريماس" (Greimas) حيث كانت فترة الستينيات نقطة تحوّل في مسار السيميائيات من دراسة الجملة نحو الخطاب إلى الأشكال السردية كما تأسست السيميائية السردية على جملة من القواعد والمفاهيم التي تسهم في تحليل الخطاب السردى ومختلف النصوص وبذلك كان محور الاهتمام في السيميائية هو دراسة النص الأدبي.

وبذلك سنحاول في هذا الموقع الكشف عن روافد النظرية السيميائية في دراسة العمل السردى، والوقوف على المشارب المختلفة التي استقت منها النظرية مفاهيمها حيث قامت على موارد متباينة هي: (الزائد الفلسفي والزائد اللساني، والزائد المعرفي) وهي كالاتي:

1- الزائد الفلسفي:

كان التفكير الفلسفي ممهدا لظهور التيار السيميائي والبحث في الدلالة، حيث اهتمت الفلاسفة بمسائل مهمة كانت مهد الدراسات اللغوية ثم السيميائية «وربما كان ارتباط علم الدلالة بالفلسفة والمنطق أكثر من ارتباطه بأي فرع آخر من فروع المعرفة حتى قال بعضهم: (إنك لا تستطيع أن تقول متى تبدأ الفلسفة وينتهي السيمانتيك (Sémantique)، وما إذا كان يجب

اعتبار الفلسفة داخل السيمانتيك (Sémantique) أو السيمانتيك (Sémantique) داخل الفلسفة»⁽¹⁾.

فهناك علاقة بين الفلسفة والسيمايا، هذا إذا لم نقل إن السيمياء هي الفلسفة والمنطق الجديد، وهذا لوجود الكثير من المفاهيم والقضايا السيميائية التي تستمد جوهرها من مرجعيات فلسفية، ومن ذلك اهتمام الفلاسفة بالعلامة إذ «بات الارتباط متينا إلى حدّ التّطابق بين السيميائيات والمنطق ونظرية المعرفة وإن كان التّأويل السيميائي للخطاب الفلسفي ذا طبيعة أكثر خصوصية وأكثر تعقيدا ذلك لأنّ التّفكير بالعلامات وحول العلامة في آن واحد ظلّ يشغل بال الفلاسفة منذ العصور القديمة ومرورا بالعصور الوسطى والحديثة إلى أيامنا هذه فلا يمكن أن نشكّ في الدّعى القائلة بأنّه لا يمكن دراسة ظواهر الوعي بمعزل عن العلامات من حيث إنّ السيميائية تضطلع بعملية إضفاء الخاصية البنيوية على صور المعرفة وأشكال نظرية التعبير...»⁽²⁾.

وهو ما حدا بالسيميائيات المحايدة ل: "غريماس" أن تنظر إلى المنطق من زاوية دلالية في معالجتها لإشكالية المعنى إذ قال "غريماس": «(يمكن تعريف المنطق في اصطلاحنا بأنّه شكل المحتوى المستعمل للتّحقّق

(1) - ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة القاهرة، 6، 2006، ص15.

(2) - أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص09.

من الصياغات اللسانية للشكل العلمي للكون باعتباره تعبيراً (يسمى المنطقة هذا الشكل العلمي علم الدلالة)، إنّ هذا المنطق الجديد هو شكل من أشكال الفلسفة الجديد (...). وتعدو إشكالية المعنى بؤرة التفكير السيميائي التي كلت أفهام الفلاسفة وأعيت أذهان علماء اللغة...»⁽¹⁾.

وللتفصيل أكثر في الصلة أو العلاقة بين الفلسفة والسيميائية خاصة نظرية "غريماس" السيميائية التي نهلت من الزائد الفلسفي يقودنا الحديث إلى زمن تطوّر الفلسفة وظهور النظريات الفكرية، إذ يعدّ القرنان الرابع والخامس قبل الميلاد هما زمن تطوّر الفلسفة اليونانية تطوّرًا سريعاً، وزمن نشوء النظم الأساسية في الفلسفة القديمة ففي هذا الزمن وضع "ديموقريط" فلسفته المادية، و"أفلاطون" فلسفته المثالية، وفيه صاغ "أرسطو" نظامه المتأرجح بين المثالية والمادية ناهيك عن الكثير من غير هؤلاء من الفلاسفة والمفكرين الأقل شأنًا وفي هذه الفترة نشأ الشكل الفني المتخصّص في عرض القضايا الفلسفية - الحوار - وفيه يعرض الفيلسوف أفكاره على شكل مناقشة مع حكيم ما يناقضه أو مع تلاميذه»⁽²⁾، فكانت النظريات الفكرية مهداً للكثير من العلوم المختلفة ومنها السيميائية، وعليه نتساءل كيف استفاد "غريماس" من الفكر الفلسفي ومن هذه النظريات الفكرية؟.

(1) - أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة، ص 11، 12.

(2) - ينظر: فؤاد المرعي، نظرية الشعر في اليونان القديمة، مجلة عالم الفكر في الأدب والنقد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلد 25، العدد 03، 1997 ص 194.

استفاد "غريماس" من بعض النظريات الفكرية كالفلسفة الذرائعية والظاهرانية ومن أفكار بعض الفلاسفة خاصة "أرسطو" و"نيتشه" وذلك في بلورة نظريته السيميائية، حيث استفاد من بعض القضايا والمفاهيم التي اهتم بها الفلاسفة كدراسة المعنى، واللفظ والعلامة، والمنطق، والوجود واللاوجود والكينونة، ومبدأ التناقض والمرجع الدلالي عند "أرسطو" حتى في الجانب النفسي ورؤية الفلسفة للفكر والشعور ومظاهر فاعلية النفس الإنسانية وهو ما دعانا إلى الوقوف على هذه النظريات الفلسفية التي ساهمت في ضبط مفاهيم النظرية السيميائية "غريماس".

1-1- أفلاطون: (427-347 ق.م): كان "أفلاطون" من بين تلامذة "أسقراط"⁽¹⁾ ولقد اهتم باللفظ ومعناه كما «وظف "أفلاطون" لفظ (Sémiotique) للدلالة على فن الإقناع، وأكد أنّ للأشياء جوهرًا ثابتًا وأنّ الكلمة ومعناها تلاؤم طبيعي بين الدال والمدلول⁽²⁾، فالأشياء جوهر وعرض بمعنى وجود بنية سطحية وبنية عميقة ثابتة، وهذا ما يطبق على الكلمة، وهذه مسألة قد أشار إليها "سوسير" و"هيلمسليف" فيما بعد واستفادت منها السيميائية عند "غريماس" في دراسة النصوص السرديّة.

1-2- أرسطو: أمّا "أرسطو" فقد «تجاوز فلسفة "أفلاطون" بمحاولة تقديم تعريفات للأفكار الرياضية والأخلاقية فكان يطابق بين الفكرة والمعنى أو بين

(1) - ينظر: فؤاد المرعي، نظرية الشعر في اليونان القديمة، ص194.

(2) - عبيدة صبطي ونجيب بخوش، مدخل إلى السيميولوجيا، دار الخلدونية للنشر والتوزيع الجزائر، ط1، 2009، ص09.

الفكرة والجوهر، وعليه فقد أحدث تحولًا كبيرًا في مسار التفكير الفلسفي عندما استبدل فكرة المثل العليا "لأفلاطون" بفكرة المفهوم»⁽¹⁾، كما بحث في جوهر الأشياء إذ نظر إلى الكون باحثًا عن جوهر الأشياء في قلب مادتها نفسها ودرس من هذا المنطلق كلّ شيء بوصفه جسمًا (حيًا) يحمل في ذاته القدرة على الاكتمال وبنى لأول مرة في التاريخ نظرية لفنّ الكلمة لا تقترح عادة فكرية مفروضة عليه من خارجه، كما فعل البلاغيّون، وأفلاطون بل مستقاة من تجربة الأدب اليوناني المتراكمة عبر عدّة قرون من التطور فاستند في أسلوبه الجديد في تقويم الأدب، إلى تفسير ذهني جديد للمتعة الجمالية يربط بين جمال الكلام وبين المعرفة التي ينقلها معلنا أنّ الكلام الممتع هو الذي يعلّم وينقل المعرفة⁽²⁾، أو الأثر الجمالي الذي تنزكه الكلمة في أذن المتلقي أو القارئ.

ويعتبر "أرسطو طاليس" في كتابه "العبارة" (باري أمرينياس) أنّ «ما يخرج بالصوت دال على الآثار التي في النفس، وما يكتب دال على ما يخرج بالصوت، فاللغة سواء أكانت منطوقة أو مكتوبة فإنّ ما تتكوّن منه هو عبارة عن دلائل (Signes)، ويبقى أن نعرف كيف تدلّ هذه الدلائل

(1) - ينظر: أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة المنطق السيميائي جبر العلامات الدار العربية للعلوم، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 2005، ص21.

(2) - ينظر: فؤاد المرعي، نظرية الشعر في اليونان القديمة، ص212.

على ما تدل عليه»⁽¹⁾، فإذا كان الصوت يعبر عما في النفس فإن ما يكتب يعبر عن الصوت. ولعلّ مسألة الصوت والمعنى قد دقق فيها "أرسطو" محدداً الفرق بينهما، فقد تكلم "أرسطو" عن الفرق بين الصوت والمعنى وذكر أنّ المعنى مطابق مع التصور الموجود في العقل المفكر، وميّز أرسطو بين ثلاثة أمور هي:

- الأشياء في العالم الخارجي.
- التصورات: المعاني.
- الأصوات: الرموز أو الكلمات.

وكان تمييزه بين الكلام الخارجي والكلام الموجود في العقل الأساس لمعظم نظريات المعنى في العالم الغربي خلال العصور الوسطى⁽²⁾ وبذلك فقد اهتم "أرسطو" بالاسم والفعل ومفهوم العلامة «حيث فرق بين (الاسم) بوصفه علامة بسيطة تدل بالمواضعة على شيء معين و(الفعل) الذي تكتسي به العلامة طابع الإحالة الرمنية (...). وقد اتبع "أرسطو" خطوات "ديمقريطس" الذي قال إنّ الحكم يتألف من "اسم" و"فعل"، ويبدل الأول (الاسم) على جزء الحكم المتعلق بالموضوع الذي تدور حوله المسألة، ويبدل الثاني (الفعل) على كلّ ما يقال عن الموضوع»⁽³⁾، فالاسم يعادل صفة للفعل مثل موضوع (الأخلاق). فالعلاقات التي تتحكم في عناصر الحكم هي قائمة على علاقات

(1) - طائع الحداوي، سيميائيات التأويل الإنتاج ومنطق الدلائل، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص67.

(2) - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص17.

(3) - أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة المنطق السيميائي، ص22.

وجودية متضاففة بفن المتصل بوصفه حكما إثباتا (Conjonction) والمنفصل بوصفه حكما منفيًا (Disjonction) والتي يكون فيها لهذه العلاقات حضور متميز في النظرية العاملية ل: "غريماس"⁽¹⁾.

إذ يستثمر "غريماس" هذه العلاقات في دراسة البرنامج السردى وذلك أثناء ضبط العلاقة بين الذات والموضوع في حالة اتصال أو انفصال ومنه يحدد شكلين للتحويل هما: التحويل الاتصالي والتحويل الانفصالي ويمكن التفصيل في هذه المسألة أكثر في دراسة المركبة السردية.

لقد استفادت السيميائية من المسائل الفلسفية وخاصة المنطق الأرسطي «ومنطق "أرسطو" عام وخاص: العام ما تشتمل عليه كل محتويات النسق (Organon)، والخاص هو ما ينصرف إليه الذهن عند الحديث عن المنطق وهو يحتوي على المقولات، وأنواع الدلالة والقضايا، وأصنافها ومعاييرها والقياس، وأشكاله، ومنطق الجهات، وطرق بناء المعرفة وتحصيلها بـ: (الموضوعات) و (التحديدات)، و (الافتراضات)، والاستقراء والاستنباط»⁽²⁾.

ويحدد "أبو الوليد بن رشد" في مخطوطته (تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الجدل) من المنطق الأرسطي نظريتين متداخلتين هما: (نظرية التقلابات ونظرية منطق الجهات)، ويمكن توضيحهما كالآتي:

(1) - أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة - مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة ص 20.

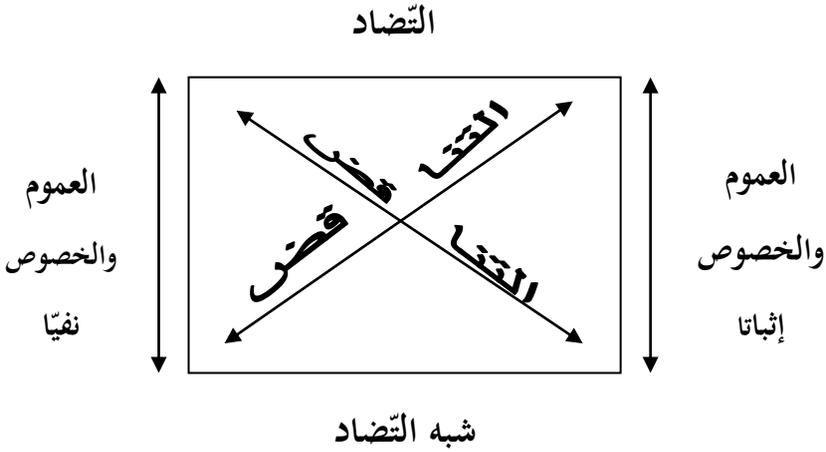
(2) - محمد مفتاح، أوليات منطقية رياضية في النظرية السيميائية، مجلة عالم الفكر السيميائيات، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 3 مجلد 35، 2007، ص 135.

1- نظرية التّقابلات: (قد تكلم "أرسطو" عن موضع التّقابلات الأربعة فقال: «أن ننظر في المتقابلات الأربعة أعني الموجبة والسّالبة والضّدين والمضافين والعدم والملكة ونتأمّل وجه اللّزوم فيها وذلك أنّ اللّزوم في المتقابلات ضدّ اللّزوم في المتلازمات لأنّ المتلازمات إنّما يلزم فيها الوجود الوجود أو الارتفاع الارتفاع وأمّا في المتقابلات فإنّها يلزم فيها الارتفاع الوجود أو الوجود الارتفاع»⁽¹⁾).

فهناك تباين بين المتلازمات والمتقابلات وتتألف بنية التّقابلات عند "أرسطو" من حدّين متناقضين: (موجود/ لا موجود) أو من ثلاثة حدود اثنان متضادّان بينهما واسطة: (أبيض/ رمادي/ أسود) أو من أربعة حدود تحكمها علائق (التناقض، والتضاد، وشبه التضاد والعموم، والخصوص، إثباتا أو نفيًا)، وقد انتشرت هذه البنية ذات الحدود الأربعة فجسّمت في مربّع منطقي بعد "أرسطو" دُعي بمربّع "أبو ليوس" (125 بعد الميلاد)، و"مارسيانوس كابيلا" (القرن الخامس بعد الميلاد)، وبيوثيس (470-524) والمربّع المنطقي كالاتي⁽²⁾:

(1) - أبو الوليد بن رشد، تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الجدل، تحقيق وتعليق: محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جمهورية مصر العربية، وزارة الثقافة مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتاب، 1980، ص113.

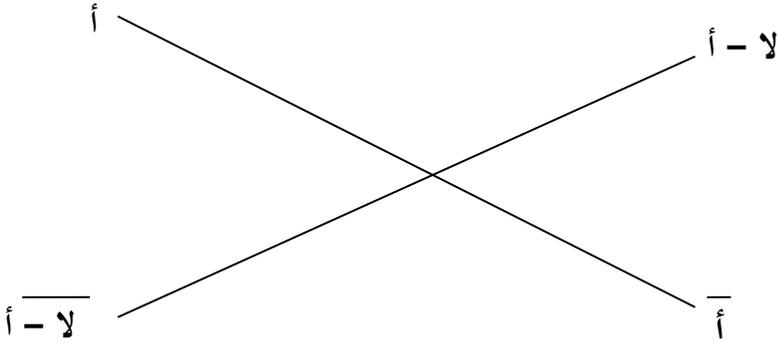
(2) - محمد مفتاح، أوليات منطقية رياضية في النظرية السيميائية، ص136.



فالمربع مبني على مبدأ التناقض القائم على ثنائيتي (الثبات والنفي) عند "أرسطو" الذي استثمره "غريماس" محددا ثلاث علاقات هي: (التضاد والتناقض، والتضمن)، ويحدده "غريماس" مع تلميذه "كورتيس" في المعجم (Sémiotique Dictionnaire raisonné de théorie du Langage) بوجود علاقيتين الأولى من نوع (أ/أ) حيث نلاحظ التناقض الناتج عن حضور وغياب سمة محددة تعرف الآخر من نوع (أ/لا أ) تتمظهر في السمة نفسها (...). وحدود المقولات لهذا الجزء في التناقض (أ/لا-أ)⁽¹⁾، وباعتبار منطق العلامة لهذه العلاقة اللامتناهية تُسمى محورا سيميائيا من خلال إدراكنا لأحد الحدين في ذلك المحور الفاصل في العلاقة الجديدة شكل (أ/أ) تعرض جملة من العلاقات تشتغل في الشكل الآتي⁽²⁾:

(1)- Voir, A. J. Greimas, J, courtés, sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Paris, 1979, p: 30.

(2)- Voir, Idem.



ولنا عودة لضبط المربع السيميائي عند "غريماس" بأطرافه في البنية العميقة والمنطقية في هذا الفصل.

أمّا نظرية التّقابلات المستمدة من الأوليات الرّياضية والمنطقية ابتدأت بالتّقابل الثنائي، الضّرورة/ الاستحالة، الصدق/ الكذب ثم إلى الثلاثي الضّرورة/ الاستحالة/ الإمكان، الصدق/ الكذب المخلوط بالصدق والكذب ثم إلى التّقابل الرّباعي: الضّرورة الاحتمال/ الإمكان/ الاستحالة، ثمّ الصدق الظنّ/ الشكّ/ الاحتمال بل تجرأ بعض المناطقة فاقترح ستّ جهات بالدمج بين الجهات المنطقية الأربع واقتصر عليها وهكذا بقي عدد أربعة بخلفيته الرّياضية المنطقية مهيمنا⁽¹⁾.

2- منطق الجهات: ولعلّ الجهات التي اهتمت بها النظريّة هي: (الجهة المنطقية، والجهة المعرفية، والجهة المعيارية، وجهة الحقيقة) من دون النّظر في جهات أخرى مثل الجهة الزّمنية وجهة الرّغبات وهي⁽²⁾:

(1) - محمد مفتاح، أوليات منطقية رياضية في النظرية السيميائية، ص 137.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص 157، 158.

أ- **الجهة المنطقية:** اهتم بها "أرسطو" في منطقهِ وتكوّن عنده من ثلاث جهات: (جهة الضرورة، وجهة الإمكان، وجهة الاستحالة)، وقد أفرد لها المعجميان "غريماس" و"كورتيس" حيث بلورا هذه الجهات لتحديد مفهوض الحالة، وإعادة صياغتها في المربع السيميائي وهي جهات: (الضرورة والإمكان، والاحتمال والاستحالة).

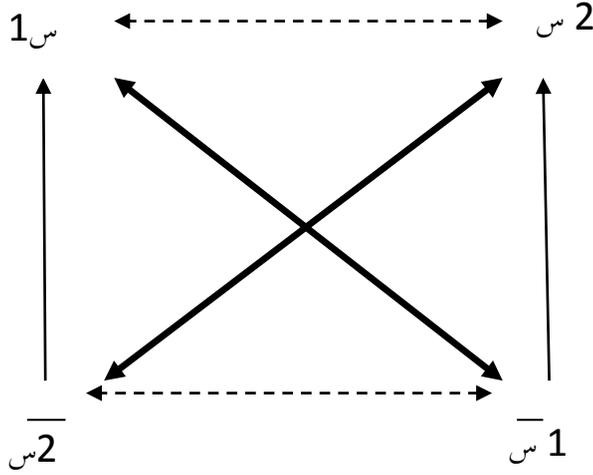
ب- **الجهة المعرفية:** وهي اليقين والاحتمال والاستحالة والوهم كلّ جهة من هذه الجهات تحتل موقعا في المربع السيميائي تتحكّم فيها العلائق المعروفة (التناقض والتضاد، وشبه التضاد، وعلاقة العموم بالخصوص إثباتا ونفيًا)⁽¹⁾.

ومن ثنائية الإثبات والنفي تنظم الأحكام وترتكز على النّقابل الذي من خلاله ينبثق مبدأ التناقض، إذ لا وجود لتناقض ما لم يكن هناك تطابق بين الإثبات والنفي، ومن هنا تتبيّن لنا الأصول المنطقية للمربع السيميائي أو المربع الدلالي الذي يعدّ من أبرز معالم التفكير السيميائي لدى "غريماس" الذي يقيمه على ثلاث علاقات هي: (التناقض، والتضمن والتضاد)⁽²⁾، ويمكن تمثيل هذه العلاقات للمربع السيميائي كما في المعجم كالاتي⁽³⁾:

(1) - ينظر: أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة، ص 21.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

(3) - Voire, A.J. Grimas; j courtés; sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage paris; 1979, p 31.



↔ علاقة تناقض / معارضة (Contradiction).

↔↔ علاقة تضاد (Contrariété).

↔ علاقة مكمل / تكامل / تضمن (Complémentarité).

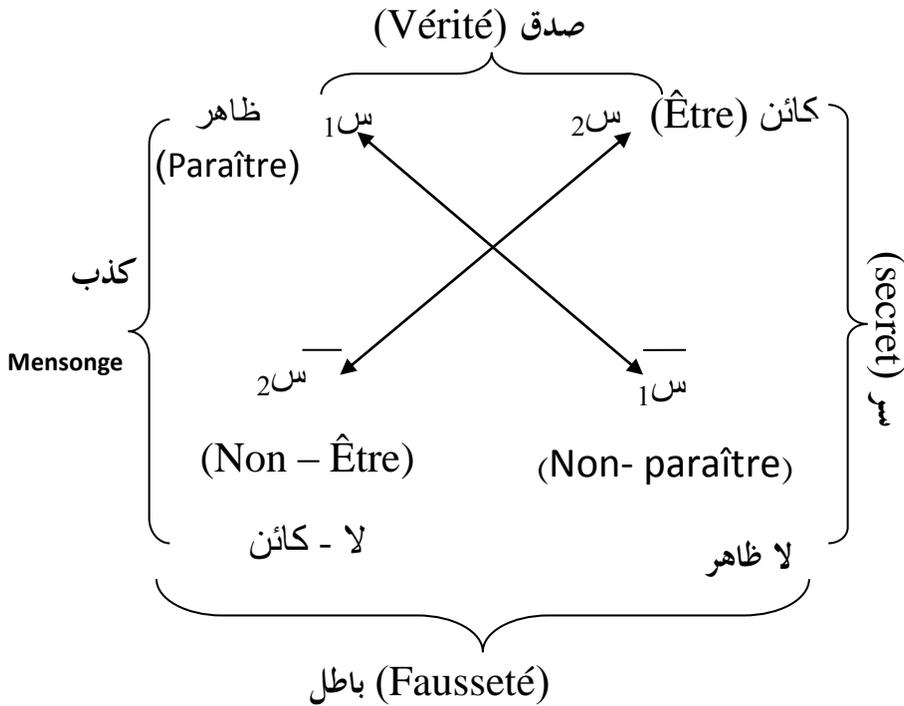
ج- **الجهة المعيارية**: ومحول منطق الجهات المعيارية هو فعل (وجب) أو أيّ تعبير يؤدي معناه، وهو يحدّد قول الفعل وقد انطلق المؤلفان من جهتين متقابلتين هما: وجوب الفعل / عدم وجوب الفعل⁽¹⁾.

د- **جهة الحقيقة القولية**: لقد اقترحت درجات من المعرفة وتبعاً لذلك درجات من الاعتقاد وهي الحقيقة المطابقة أو العلم الصادق والحقيقة النسبية نظرياً وعملياً والباطل والكذب (...). وعليه فإنّ الحديث عن كينونة الكينونة له الدّرجات الآتية⁽²⁾: (الكينونة، والظهور، واللاّظهور، واللاّكينونة)

(1) - ينظر: محمد مفتاح، أوليات منطقية رياضية في النظرية السيميائية، ص 157، 158.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص، ن.

وهو ما استثمره "غريماس" في تشكيل المربع التصديقي وهو كما ورد في معجم يحدّد علاقتي التضاد بين علاقة التناقض وعلاقة التضمن ويتمثل في الشكل الآتي⁽¹⁾:



وعلى هذا الأساس نلاحظ أنّ السيميائيات المحايثة قد استفادت من المنطق الأرسطي في تحديد الكثير من المسائل كالعلامة، والدلائل المنطقية، وتحديد المتقابلات باستخلاص مربع النّقابل أو المربع المنطقي

(1)– Voir, A. J. Greimas, J, courtés, sémiotique diconnaire raisonné de la théorie du langage, paris, 1979, p: 32.

الأرسطي والذي تبلور فيما بعد مع السيمياء السردية ليصبح المرّع السيميائي.

وعلى العموم فإنّ مسألة الاهتمام بالمعنى والبحث عن الدلالة لها جذور فلسفية ورياضية، فالشكل أو الرّمز يحمل معنى ودلالة متعارف ومتواضع عليها، وبذلك تحدّد القيمة، والدلالة المنطقية للرّموز والأشكال والكلمات، وحتى الأصوات، وكما استفاد "غريماس" من فكر "أرسطو" واستفاد أيضا من فكر "نيتشه".

1-3- نيتشه: لقد استفاد "غريماس" من الفكر الفلسفي للفيلسوف "نيتشه" من بعض المسائل كفكرة (الإرادة في الفعل، والتحول، والذات والذات المضادة وفكرة الوجود) إذ أنّ "نيتشه" قد تكلم في كتابه "إرادة القوّة" عن نظريته حول إرادة القوّة للفعل والفعل المضاد، وصراع الذوات والقوى، وللبحث عن مدى استثمار "غريماس" لبعض المفاهيم لنيتشه نقف على المسائل الفلسفية الآتية:

1- فكرة الإرادة في الفعل: يقول "نيتشه" عن الإرادة مخالفا طريقة الفلاسفة: «إنّه يوجد في كلّ إرادة أولا عدد كبير من الإحساسات وأعني بها الإحساس بالظرف (الذي نبتعد عنه)، والإحساس بالظرف (الذي نتجه إليه) وهذا الإحساس يصاحبه إحساس عضلي مصاحب له يبدأ عمله حتّى ولو لم نتحرّك بمجرد أن (نريد) شيئا وعلى ذلك فكما الإحساسات ينبغي أن ينظر إليها على أنّها مكوّنات للإرادة، فمن الواجب أن ينظر إلى التفكير ثانيًا على هذا النحو ذاته (...). إنّ في كلّ فعل للإرادة فكرة غالبية وعليه لا يمكن فصل الفكر عن الإرادة هذا وليست الإرادة ثالثا ظاهرة

مركبة»⁽¹⁾. تتألف من إحساسات وتفكير فحسب بل إنها وقبل كل شيء انفعال بل هي انفعال للأمر والسيطرة، فما يسمّى (بحرية الإرادة) هو في أساس أفعال الغلبة على من يتعيّن عليه أن يطيع (أنا حرّ وعليه هو أن يطيع)⁽²⁾.

لقد تكلم "نيتشه" في هذا النصّ عن ثلاث زوايا للإرادة هي: (الإحساس، والفكرة، والانفعال)، فالإرادة بذلك شيء معقد حسب النصّ تتألف من ثلاثة عناصر: (إحساسات، وأفكار، وانفعالات) فالإحساسات هي الاستعدادات للفعل أو التهيؤ له، وقد تكونت بفعل العادة والأفكار هي ما يسيطر على الإرادة ويوجّهها، والانفعالات هي إحساسات الإرغام والضّغط والمقاومة والحركة، إنّ العنصر الأخير الذي يرتبط بفعل الإرادة هو أغرب هذه العناصر لأنّه سلسلة من الاستنتاجات المخطئة، وبالتالي من الأحكام الباطلة عن الإرادة (...). على نحو ما فيعزو نجاح عملية الإرادة والقدرة على تنفيذها إلى الإرادة ذاتها، وبذلك يتمتّع بمزيد من الشّعور بالقوّة المصاحب لكلّ نجاح (فحرية الإرادة) هي التّعبير عن الحالة المعقّدة لارتباط الشّخص الذي يمارس عملية الإرادة ويأمر ويرى في نفسه منفذاً للأمر في آن واحد، أي يتمتّع أيضاً بالانتصار على العقبات ولكي يعتقد فيما بينه، وبين نفسه أن إرادته الخاصّة هي التي تغلب على هذه العقبات بالفعل⁽³⁾.

(1) - ينظر: بيرمونتييلو، نيتشه وإرادة القوة، تر: جمال مفرج، منشورات الاختلاف، الجزائر

الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص48 .

(2) - المرجع نفسه، ص 48.

(3) - المرجع نفسه، ص49.

فالإرادة تمرّ بمراحل الإحساس والفكر ثمّ الانفعال، وقد تنتهي بالحكم على الانفعال وعلى مدى المقدرة في تنفيذ الإرادة بالفشل أو بالنجاح أليس هذا ما نجده عند "غريماس" فيما بعد حيث رسم "غريماس" للخطاطة السردية أطوارا تمرّ بها هي: (التّحرك، والكفاءة والإنجاز، والجزاء)، ويرى أنّ هذه الخطاطة تشتغل في ظلّ وجود هيكل عام يحدّها هو البرنامج السّردي للفعل، وكما أنّ هذا البرنامج السّردي مرتبط بمدى تحقيق الذات الفاعلة أو المنجزة للموضوع، القيمة إذ إنّها قد تنتهي في البرنامج السّردي بالفشل أو بالنجاح.

2- فكرة وجود الذات والذات المضادة أو (صراع الذات):

إنّ الحديث عن وجود الذات والذات المضادة هو الحديث عن فعل الذات والفعل المضاد للذات «فكلّ ظاهرة في العالم هيّ على الأقل علاقة بين قوتين: إحداهما تهاجم والأخرى تقاوم والتعبير البسيط عن إرادة القوة هو الثنائية فكلّ قوة تدخل في صراع مع قوة أخرى وهذا الصّراع يلقي بضوئه على كلّ القوى الأخرى إنّ الثنائية هي الحد الأدنى فقط الذي انطلقا منه يمكن التّفكير بمفاهيم إرادة القوة، وكلمات "نيتشه" في هذا الموضوع واضحة: (لا يمكن أن تظهر إرادة القوة إلّا من خلال علاقة مقاومة، إنّها تبحث عن من يقاومها)، و(تبحث عن المواجهات، والصّراعات إنّها تبحث إذن، ونسبياً عن وحدات عليا محدّدة)⁽¹⁾.

(1) - بيرمونتيبلو، نيتشه وإرادة القوة، ص 85.

والوحدة السّامية يجب «فهمها كوحدة تضمّ علاقة قوى أي هجوم ومقاومة، فعل ورد فعل، إنّ الصّورة الأكثر عموميّة لإرادة القوّة هي إذا الفعل ضدّ قوى ومقاومة هذه القوى لها (...) إنّ كلّ ظاهرة في العالم يجب اعتبارها كتعبير عن مباراة وصراع قوى بعضها ضدّ بعض، فإذا ما وجدنا وحدة في الظّاهرة، فإنّها لن تكون أبدا سوى وحدة تضمّ قوى تلعب (وتكونا لهيمنة تعني الواحد لكن لا تعني إحدى القوى)»⁽¹⁾.

وفي هذه المسألة سنلاحظ أنّ "غريماس" قد اعتمد في عوامل السرد للنموذج العملي على وجود الذات الذي يسعى لتحقيق الموضوع وهناك الذات المضادّة أو المعارض الذي يسعى إلى عرقلة عامل الذات نحو تحقيق الموضوع، ويقوم على وجود برنامج سرديّ مضادّ وعليه فإنّ "غريماس" قد استنتج وجود برنامج سرديّ لعامل الذات نحو تحقيق الموضوع وهناك برنامج سرديّ مضادّ يحاول الهيمنة وهناك صراع بين البرامج السردية حول تحقيق الموضوع، كما أنّ هناك صراعا بين الدّوات إذ نجد في نظرية غريماس أن هناك (ذ1) تسعى إلى تحقيق الموضوع (م)، وهناك ذات (ذ2) تسعى أيضا إلى تحقيق الموضوع (م)، وهناك صراع بين الذات (ذ1) و (ذ2) حول الموضوع.

3- فكرة التحوّل: لقد أشار "نيتشه" إلى فكرة التحوّل إذ «أنّ إرادة القوّة هيّ تحوّل وقد تجلّت إرادة القوّة كتضاد لكميّة الطّاقة وكصراع لقوى

(1) - بيرمونتيبيلو، نيتشه وإرادة القوة، ص86.

في صيرورة، لكن غرابة إرادة القوّة تنجم عن كون كمّيّات القوّة هذه ليست لها القيمة نفسها داخل حركتها الدائريّة الأبدية»⁽¹⁾.

بمعنى أنّ هناك تغييرا وهذا ما تطرّق إليه "غريماس" في نظريّته التي تقوم على فكرة التحوّل من وضعيّة إلى وضعيّة مضادّة، في البرنامج السّردي ولذلك يعدّ البرنامج السّردي سلسلة من الحالات والتحوّلات في المسار الحكائي.

4- فكرة الوجود: تحتوي فكرة الوجود "ظاهرة كونية" على بذور كلّ الأشكال سوء النّفاهم، وتتعارض مسبقا تعارضا كبيرا مع نفي نيتشه الصّارم لإمكانية معرفة مطلقة (إنّنا (يقول نيتشه) لا نعرف إطلاقا بحقّ التحدّث عن حقائق بمعنى مطلق، لقد أنكرنا معرفة الأشياء كما أنكرنا الاعتقاد في المعرفة) لكن خطر الخلط مع وجود الميتافيزيقيين (الذي يفترض أيضا نظيرا ظاهريا واستعمالا لمفهوم (الظاهرة) يزداد أيضا حين يستبدل "نيتشه" هذه الثنائيّة القديمة، وجود/ ظاهر، أو وجود/ ماهية الوجود، وبالفعل فإنّه يثبت أنّ الظاهر (هو الحقيقة الفعلية والوحيدة للأشياء) لا يتردّد في إعطائه هذا الاسم الآخر: (الذي هو بالتّحديد إرادة القوّة، وهو اسم تمّ تحديده انطلاقا من البنية الباطنية من إرادة القوّة لا من طبيعتها المتحوّلة والمستعصية والمائعة).

إنّ مجرد القدرة على إعطاء إرادة القوّة اسما هو أمر يتوافق مع تحديدها كبنية باطنية أهمّ من الظاهر، ومع تحديدها أخيرا كبنية منتجة للظاهر⁽²⁾. تشير إرادة القوّة هنا إلى مفهوم الوجود كما أنّها تشير إلى البنية

(1) - ينظر: بيرمونتييلو، نيتشه وإرادة القوّة، ص 180.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص 66.

الباطنيّة العميقة، وعلى البنية السّطحية أو الظّاهر وهيّ مسألة قد أشار إليها اللّسانيون في البحث حول علم اللّغة انطلاقاً من الكلمة فالصّوت هو ما استفاد منه "غريماس".

وكما استفاد "غريماس" من فكر "أفلاطون"، و"أرسطو"، و"نيتشه" استفاد أيضاً من بعض التّيّارات الفلسفيّة، كالفلسفة الذرائعيّة والظّاهراتيّة:

1-4- الفلسفة الذرائعيّة: ومن الفلسفة المعاصرة الفلسفة الذرائعيّة

أو البرجماتيّة وهي اتّجاه ظهر في أمريكا تميّز بجملة من الملامح أهمّها إعطاء الأولويّة للفعل على النّظريّة، والدّفاع عن الحرّيّة وتثمين العلم والتّقنيّة والإيمان بقيمة الاستكشاف والبحث، تأسّس في أواخر القرن التّاسع عشر من قبل "شارل سندرس بورس" (1852-1914) و"وليام جيمس" (1842-1910)، و"جون ديوي" (1859-1952)⁽¹⁾، (...) ولعل الصّلة الوثيقة التي تجمع بين البرجماتيّة كما أسّسها "بورس" بوصفها منهجاً وفعلاً، وعلم العلامات يقول "موريس": (إذا كان مصطلح العلامة أو السّيميائيّة مقبولاً كاسم للدراسة العامّة للعلامة، فإنّه سينتج عن وجهة النّظر القائلة بأنّه تجد علاقة جوهرية بين المعنى والفعل، وتطوير العلاقة ذاتها كنظريّة فعليّة سلوكيّة) وبذلك أصبحت البرجماتيّة فلسفة تقوم على أساس الدّلالة السلوكيّة⁽²⁾.

(1) - الزاوي بغورة، العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة (التأسيس والتجديد)، مجلة علم الفكر، السيميائيات، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت العدد 03 المجلد 35، مارس 2007، ص 99.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص 100.

لعلّ الاهتمام بالفعل والحركة السلوكية والكشف عن الدلالة والمعنى لهذه الحركة هي مسألة اهتمت بها السيميائيات المحايدة بتتبع أطوار فعل التحوّل في المسار السردى وكذا الكشف عن المعنى بالانتقال من البنية السطحية إلى البنية العميقة.

1-5- الفلسفة الظاهرية: وهي اتجاه فلسفي معاصر «يعتبر الفيلسوف الألماني "إدموند هوسرل" (1859-1938) مؤسس هذا التيار ومعه "ماكس شيلر" (1874-1928)، ولقد شكّل تلامذة "هوسرل" تيارات متنوعة داخل هذه المدرسة تزعمها في ألمانيا "هيدجر"، و"ياسيرس"، و"جادمر"، وفي فرنسا "سارتر"، و"مارسل"، و"ميرلوبونتي"، وانتشرت في أرجاء العالم»⁽¹⁾، وتقوم الظاهرية على دراسة الخبرة الحسية من زاوية وعي الفرد بها معنيّة بالظاهرة فهي طريقة للبحث، والكشف، وهي فلسفة تعتمد النظرية التي تقول بأن المعرفة محصورة في الظواهر المادية والعقلية ولا تفهم الظاهرة إلا من خلال مداخلتها مع ظواهر أخرى، وكأنّ الذهن لا يدرك سوى الظواهر لذا كانت هي منهج الكشف عن أصحابها⁽²⁾.

فهي تبحث في الكشف عن الظواهر وتثبيت الأشياء «فالظاهراتية منهج في الوصف واللغة ومنها العلامة هي وسيلة الفكر في عملية الوصف

(1) - ينظر: الزاوي بغورة، العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة (التأسيس والتجديد) ص113.

(2) - ينظر: عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب د ط، 2002، ص482.

على أنّ العلامة في الفلسفة الظاهرانيّة تتّصل اتّصالاً جوهرياً بمسألة المعنى (...)، وبالتالي فإنّ المسألة الأساسيّة في الفلسفة الظاهرانيّة ليست مسألة "الكوجيتو" أو ماذا يعني الفكر ولكن مثلما بيّن ذلك (بول ريكور) إنّها مسألة معنى المعنى أو كما قال: (إنّه لمن الأهميّة أن نلاحظ أنّ السّؤال الفيونومينولوجي الأساسيّ هو: معنى المعنى؟)»⁽¹⁾.

وعلى هذا الأساس فإنّ الفلسفة المعاصرة سواء الذرائعيّة التي تبحث في دلالة الفعل والسّلك الإنساني أو الظاهرانيّة التي تسعى للكشف ووصف الظواهر والأشياء والبحث عن المعنى من خلال إدراك العقل أو الدّهن البشري للوجود فإنّه يمكن القول إنّ الرّؤية الفلسفيّة للعلامة تمهيدا لما وضحه "بورس" و"دو سوسير" حول العلامة اللّغويّة وما ستقوم عليه السّيميائيّة من البحوث حول المعنى ودلالة الملفوظات والأفعال، ولعلّ الذي طوّر (علم العلامة) هو "غريماس"، وذلك عندما نشر كتاب (الدّلالة البنيويّة) حيث قدّم فيه العناصر الأولى للسّيميائيّة السّردية⁽²⁾.

1-6- التّأصيل الفلسفي لسيميائيّة الأهواء:

تتقاطع السّيميائيّة الحديثة مع علوم ومعارف متعدّدة ومتنوّعة إنّها ركام ثقافي اقتات من موائد العلوم السّابقة كالفلسفة، وعلم الاجتماع

(1) - ينظر: الزاوي بغورة، العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة (التأسيس والتجديد) ص113، 114.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص104.

واللّسانيّات، وعلم النّفْس، هذا الأخير الذي استفادت منه السّيميائيّة في الكثير من الجوانب، إنّ الجذور الأولى لعلم النّفْس تعود إلى ما قبل الميلاد حيث كان يعتبر فرعا من الفلسفة يهتمّ بدراسة الرّوح إلى أن جاء "أفلاطون" وقال بأنّ أفكار الإنسان توتّر في سلوكه وأنّها منفصلة عن الجسم ومع "أرسطو" عرف علم النّفْس تطورا علميا حين رأى أنّ الحالات النّفسيّة ما هيّ إلاّ نتيجة لحالات جسميّة كما أنّه صاغ قوانين في تداعي المعاني سادت علم النّفْس أكثر من عشرة قرون (1).

وبذلك فقد شغلت الأهواء الفلاسفة قرونا عديدة بدءا "بأفلاطون" (Phlaton)، وانتهاء "بهيغل" (Hegel) ومرورا "بتوماس الأكويني" (T.d'Aquin)، و"فيفيس" (Vives)، و"ديكارت" (Descartes) و"سبينوزا" (Spinoza) و"لوك" (Locke)، و"دافيد هيوم" (D.Hume) و"لايبنيز" (Leibniz)، و"كانط" (Kant) بيّن "أفلاطون" في أسطورة الكهف أنّ العقل محتاج إلى الهوى لإثبات ذاته (2)، فهناك علاقة بين الإدراك في الدّهن والشّعور أو العاطفة كالشّعور بالخوف من مثير خارجي مثلا، ويقول "أفلاطون" مفتتحا (الجزء الثاني) من كتاب (القوانين): (إنّ أوّل مظاهر الضّمير لدى الطّفّل إنّما هو الشّعور باللذّة والألم، ولذلك هو المجال الذي تكتسب فيه النّفْس

(1) - ينظر: فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 273.

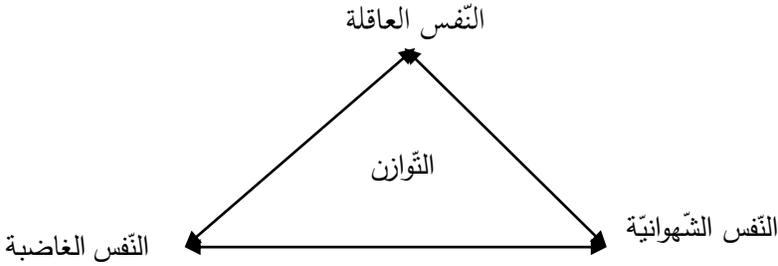
(2) - محمد الداوي، سيميائية الأهواء، مجلة (عالم الفكر السيميائيات وتحليل الخطاب) جامعة وهران، الجزائر، منشورات الأديب، ع2، 2006، ص214.

لأول مرة الفضيلة والرذيلة). وهكذا فإنّ "أفلاطون" بعد أن أبرز الإحساس باللذة والألم بوصفهما إحساسين أوليين عند الإنسان ربط بهما مفاهيم (الفضيلة) و(الرذيلة) و(التربية)، وقد عرّف الفضيلة بأنها ارتباط اللذة مع الحبّ والألم مع الكراهية في النفس على النحو الصحيح أمّا التربية فرأى أنّها تتعامل الصحيح مع تلك المشاعر، ذلك التّعامل الذي يُعلم المرء أن يكره ما يجب أن يكرهه، ويحبّ ما يجب أن يحبّه، وأبرز "أفلاطون" في الفن طبيعته التمثيلية وارتباطه بغريزة اللذة⁽¹⁾، فقد حدّد "أفلاطون" مفهوم الفضيلة والرذيلة والتربية انطلاقاً من وجود عنصرين هاميين هما: (اللذة، والألم).

وكما تكلم "أفلاطون" عن النفس في مواطن أخرى حيث «يعتمد علم النفس» "أفلاطون" على تقسيم النفس إلى ثلاثة أجزاء مكوّنة هي: (النفس العاقلة، والنفس الغضبيّة، والنفس الشهوانية)، وهذا التقسيم مستوحى في أساسه من تقسيم الحياة الاجتماعيّة في الدولة - المدينة لقد طبّق "أفلاطون" على مفهوم (النفس) مبدأ التماثل مع المجتمع وهذا ما جعله لا يتوقّف عند تقسيمها إلى ثلاثة أجزاء بل دفعه أيضاً إلى أن يزعم أنّ هذه الأجزاء تتفاعل فيما بينها تفاعلاً، يشبه ذلك الذي يحدث بين الفئات الاجتماعيّة فهيّ عنده تتّصف بالحركيّة وبسيطرة أحدها على الآخر وبالتنافس ولذا كان (التوازن) في نظره شرطاً ضرورياً لحياة النفس حياة ناجحة

(1) - ينظر: فؤاد المرعي، نظرية الشعر في اليونان القديمة، مجلة عالم الفكر في الأدب والنقد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلد 25 العدد 03، 1997 ص 206.

ومن هذا الموضع الجديد في نظرتة إلى ماهية النفس عاد "أفلاطون" في الجزء العاشر من (الجمهوريّة) إلى مناقشة الدّور التّربوي لفنّ الشّعْر»⁽¹⁾، بمعنى أنّ التّقسيم الثّلاثي للنّفس عند "أفلاطون" يبيّن ثلاث زوايا جوهريّة محدّدة للطّبيعة البشريّة، فإذا افترضنا طغيان زاوية على الزّوايا الأخرى فإنّها تحدّد الشّخصيّة هل هي عاقلة متّزنة بالحكمة أو هي عنيفة غاضبة أو هي شهوانيّة لكن "أفلاطون" يرى أنّ النّفس البشريّة تمتزج بين هذه الزوايا كونها تتفاعل في الدّات محدّدا التّوازن بين درجات هذه الزّوايا فتتحدّد من خلاله توازن الشّخصيّة السّويّة، ويمكن توضيح زوايا "أفلاطون" كما في الشّكل الآتي:



اهتمّ "أرسطو" أيضا بمسألة الأهواء حيث أبرز «أنّ الأهواء تلعب دورا مهمّا في الكشف عن الاختلافات البشريّة وتضعيف الوعي إلى كينونتين تنزعان إلى التّوافق أو التّعارض»⁽²⁾، أمّا الفيلسوف "نيتشه" فإنّه يباشر «هذا الموضوع بطريقة متميّزة في ردّ إرادة القوّة إلى مؤثّر أوّلي

(1) - فؤاد المرعي، نظرية الشعر في اليونان القديمة، ص 205.

(2) - محمد الداوي، سيميائية الأهواء، ص 214.

أو بدئيّ يشدّ المؤثرات إلى انفعال أساسيّ حيث تتجدّر الأحاسيس إلى حدث فريد يضع في الحسبان كلّ الوقائع البسيكو-فيزيقيّة كنزواتنا وإحساساتنا وإرادتنا وفهمنا ويردّها إلى ألم أو معاناة تتحدر منها كلّ التغيّرات وإلى رغبة أساسيّة تتحدر منها كلّ رغباتنا لقد كان "نيتشه" في كلّ مرّة يستخلص من المتعدّد (الرغبات والعواطف، والانفعالات، والوقائع، والغرائز) مفردا يبدو أنّه هو أساس المتعدّد الوحيد في كلّ واحدة من هذه الحالات، تتعيّن الإرادة بطابع المفرد: (الرغبة، والألم، والعاطفة، والإحساس)»⁽¹⁾.

فتتعاقد هذه العواطف والأحاسيس لتشكيل إرادة الذات، وقبله طرح الفيلسوف الفرنسي "ديكارت" «قضية العلاقة بين (العقل، والجسم) وقال بأنّهما شيان متمايزان كلّ التمايز أمّا (الصّلة بينهما فهيّ تفاعل ميكانيكي يحدث في الغدّة الصنوبريّة في المخ)، وبحديث "ديكارت" عن العقل وتميز الإنسان به أخذ الباحثون يهتمّون بظاهرة الشّعور فيدرسون جميع الخبرات والحالات الشعوريّة كالنفكير، والتذكّر والانفعال، ومنهجهم في ذلك هو التأمّل الباطن»⁽²⁾ ومع "ديكارت" والفلاسفة المعاصرين تغيّرت وضعيّة الإنسان بسبب وجدانيّته وفردانيّته (فالهوى ما هو إلّا ما تتحمّله الرّوح في الجسد الذي تتحدّ به) ويتشخص هذا المفهوم في فكر "هوبز" (Hobbes) لكونه الطّبيعة في الطّبيعة

(1) - بيير مونتبيلو، نيتشه وإرادة القوة، ص74.

(2) - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص273، 274.

الإنسانية ويرتبط الهوى عند "كانط" بنمط تحقيق الذاتية ولذلك لا يتجسد من خلال الإحساس بالألم أو المتعة وإنما بوصفه قدرة على الرغبة⁽¹⁾.

وبذلك اهتمّ الحقل الفلسفي بمسألة الأهواء وإن اختلفت زوايا نظر الفلاسفة إلى هذه المسألة من "أفلاطون" و"تيتشه" و"أرسطو" و"ديكارت" و"كانط" وغيرهم من الفلاسفة المعاصرين وتباينت الدراسات إلا أنها تشترك كلّها وتقوم على وجود نواة جوهرية هي النفس البشرية.

فكانت النفس ومسألة الهوى والشّعور من قضايا اهتمام الفلاسفة والباحثين المحدثين في علم النفس، وعلم الاجتماع والسيميائيات هذه الأخيرة التي نهلت من التفكير الفلسفي ما يؤسس المفاهيم السيميائية، سواء في سيميائية العمل أو في سيميائية الأهواء التي سنحددها في هذا الفصل من الدراسة.

2- الرافد اللساني:

وكما قامت السيميائية على التيار الفلسفي، فقد استوحيت «السيميائية» المحايثة تصوراتها من اللسانيات البنيوية وبخاصة لدى "دو سوسير" و"هيلمسليف"، و"تتير"، وقد تجلّت الملامح الأولى لهذه السيميائية مع مبحث "مبادئ السيميائيات" لـ: "بارت" عام (1964) حيث فتحت المجال لامتحان صلاحية هذه المفاهيم على اقتحام ما هو خارج النسق اللساني حتى تتحوّل

(1) - محمد الداوي، سيميائية الأهواء، ص 214.

إلى أدوات إجرائية»⁽¹⁾، وهو ما دفعنا إلى الوقوف على بعض المفاهيم التي اهتمت بها اللسانيات البنيوية والتي حاولت السيميائية فيما بعد بلورتها كأدوات إجرائية لتحليل النص السردى.

2-1- تصوّر دو سوسير:

حدّد "دو سوسير" ملاحظات متتابعة في درس مقدّم من جنيف نوفمبر (1891) متعلّقة بمبادئ أولية جمعت في (دروس في اللسانيات العامّة) في (1910-1911) وهي ملاحظات أولية بيّن فيها الاختلاف بين اللّغة واللّسان⁽²⁾، وحتّى الكلام في الخطاب بيّن ما هو اجتماعي وفردى وما هو أساسى وآخر ثانوي⁽³⁾.

وتكلّم في مؤلّفه: (دروس في اللسانيات العامّة) عن قضايا وأفكار تعتبر «أساس علم اللّغة الحديث والمعاصر والمتمثّلة في بعض النظريّات المحقّقة في أنّ اللّغة شكل وليست مادّة -جوهرًا- هي آليّة معقّدة (...). أمّا عن تصوّراته فنجدها تكمن في جملة من الثنائيات مثل: (اللّغة/ الكلام

(1) - ينظر: أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة المنطق السيميائي وجبر العلامات، ص 79.

(2) - Voir, Johanns fehr, Saussure entre linguistique et sémiologie presses universitaire de France, 2000, p: 50, 51.

(3) - Voir, Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale Editions Talantikit, Béjaïa, 2002, p: 20.

الآنيّة والزمنيّة، والعلاقات النّظميّة، والعلاقات الاستبداليّة، الصّوت والمعنى»⁽¹⁾ ولقد استفادت السيميائيّة من تصوّر "دو سوسير" خاصّة فيما يتعلّق بثنائيّة «اللّغة والكلام، والدّال والمدلول، والوحدة والاختلاف»⁽²⁾.

- اللّغة والكلام:

ومن المفترض أنّ اللّغة ضروريّة من خلال الكلام ذلك سواء المدرك (المسموع) أو المنتج (الملفوظ) وهذا الالتزام نحو اللّغة ثابت تاريخياً في فعل الكلام المتقدّم⁽³⁾، بمعنى أنّه هناك علاقة بين اللّغة والكلام في عمليّة التلقّف وثبوتها تاريخياً في التّواصل الاجتماعي إلّا أنّ هناك فرقا بين اللّغة والكلام حيث اعتبر "دو سوسير" اللّغة نسقا للتّواصل بشكل مجرد ومتعال عن الفرد إذ إنّها تشبه خزينة قد وضعتها ممارسة الكلام في الأفراد الذين ينتمون إلى جماعة واحدة، أو قل إنّ اللّغة عبارة عن نسق من القواعد النّحويّة الموجودة بالقوّة في كلّ دماغ أو بالضبط في أدمغة مجموعة الأفراد، لأنّ اللّغة توجد عند كلّ فرد ناقصة، ولا توجد كاملة إلّا عند الجمهور⁽⁴⁾، وعليه «فاللّغة إذن منظّمة عرفيّة ترمز إلى نشاط المجتمع وهذه المنظّمة تشتمل على عدد

(1) - ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائيات السردية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، الجزائر، دط، 2008، ص 09.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص 10.

(3) - Voir, Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale Editions Talantikit, Béjaïa, 2002, p: 26.

(4) - ينظر: عبد اللطيف محفوظ، آليات إنتاج النص الروائي نحو تصوّر سيميائي منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2008 ص 43.

من الأنظمة يتألف كل واحد منها من مجموعة من المعاني تقف بإزائها مجموعة من الوحدات التنظيمية أو "المباني" المعبرة عن هذه المعاني»⁽¹⁾ وبذلك فاللغة مؤسسة اجتماعية ونتاج جماعي أما الكلام إنتاج فردي وعمل واللغة حدود هذا العمل والكلام سلوك اللغة، واللغة معايير هذا السلوك، والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط، والكلام حركة واللغة نظام هذه الحركة⁽²⁾ وعليه «فالكلام هو فعل فردي نابع من الإرادة والذكاء إنّه تأليفات من خلالها يستخدم المتكلم سنن اللسان بغرض التعبير عن فكره الشخصي»⁽³⁾، واللسان هنا هو «الأداة الوحيدة التي عبرها نعقل الكون ونحوّله من مجرد معطيات حسية بلا نظام كون يعقل من خلال كيانات أخرى من المفاهيم»⁽⁴⁾، (...)

«فاللسان يمكن النظر إليه باعتباره نسقا من العلامات الموجودة خارج إرادة الذات المتكلمة فهو إنتاج ما يسجله الفرد سلبيا، وبذلك فهو المخزون من الكلمات والقواعد السابقة في الوجود على الفرد»⁽⁵⁾، وبذلك فاللسان بهذا الاعتبار «ظاهرة اجتماعية ذهنية هي الوضع الذي تمّ الاصطلاح

(1) - تمام حسان، اللغة ونظام الأنظمة، ينظر: عبد السلام المسدي، اللسانيات من خلال النصوص، الدار التونسية للنشر، ط1، جوان 1984، ص54، 55.

(2) - ينظر: تمام حسان، اللغة ونظام الأنظمة، ينظر: عبد السلام المسدي اللسانيات من خلال النصوص، ص 53.

(3) - دليلة مرسلي وآخرون، مدخل إلى السيميولوجيا (نص - صورة)، تر: عبد الحميد بورايو ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1995، ص72.

(4) - سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء المغرب، منشورات الزمن، دط، 2003، ص40.

(5) - ينظر: سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 46.

عليه في مجتمع من المجتمعات، ويقابله الكلام التأديبة الفردية أو الجماعية للسان وخاضع لعوامل عدة اجتماعية ونفسية وتاريخية إلى غير ذلك من العوامل المؤثرة»⁽¹⁾، أما بالنسبة للكلام فهو «نتاج فردي كامل يصدر عن وعي وإرادة ويتصف بالاختيار الحر وحرية الفرد الناطق تتجلى في استخدامه أنساقا للتعبير عن فكره الشخصي (...)، فالكلام يولد خارج النظام، وضد المؤسسة لأنه السلوك اللفظي اليومي الذي له طابع الفوضى والتحرر»⁽²⁾، وبذلك فهو نتاج فردي متعلق بالفرد عكس اللغة نتاج جماعي والكلام هو معادل لمفهوم الخطاب لذلك استمدت منه السيميائية كونه يشكّل جملة لغوية كبرى تحمل معنى، ولعلّ توضيح الاختلاف بين اللغة واللسان والكلام، يمهد نحو تحديد ثنائية أخرى هي محور الاستبدال (الاختيار) ومحور العلاقات المركبية (التوزيع) كيف يمكن اختيار مفردات أو استبدال أخرى ونظامها على مستوى خطي، وتوزيع نظامها بشكل معين لتحديد المعنى وهذه من المسائل التي تكلم عنها "سوسير"، فاخترنا مثلا للعلم الوطني الجزائري من بين مجموعة من الأعلام الدولية وتمسكنا به بقوة يشير ذلك إلى كلام و بوصفنا لألوان العلم الوطني من خلال جمل من الكلمات نكون أمام اللغة وما يحمله العلم من معانٍ ودلالات في أنفسنا نكون أمام السيميائية

(1) - خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبية للنشر، الجزائر، دط، 2002، ص 12.

(2) - رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار عنابة الجزائر، د ط، 2006، ص 71.

ومنه فهناك علاقة بين الكلمة والمعنى واللغة والكلام والدلالة فأخذت السيميائيات البحث عمّا وراء اللغة والكلام.

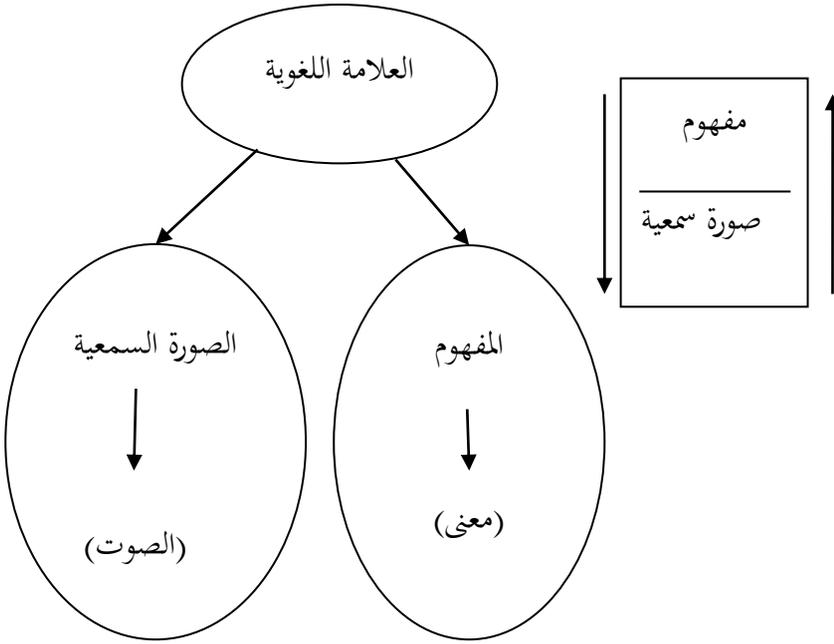
- العلامة اللغوية:

ومن تصوّرات "دو سوسير" اللسانية "العلامة اللغوية" التي تتشكّل من وجود «العلامة الرابطة بين الدال والمدلول وهذه العلاقة ذات طبيعة اعتباطية، والاعتباطية في مفهومها الأدنى هي غياب منطلق عقلي يبرّر الإحالة من دال إلى مدلول، فلا وجود لعناصر داخل الدال تجعلنا ننقل آلياً إلى المدلول، فالزابط بين هذين الكيانين يخضع للتّواضع والعرف والتّعاقد»⁽¹⁾.

وهذا الطّابع المزدوج هو ما يميّز العلامة اللغوية، وبذلك فإنّ «العلامة (Signe) في نظر "دو سوسير" توحد بين المفهوم أو الصّورة الذهنية (Concept)، والصّورة الصّوتية أو السّمعية (Image acoustique) لا بين شيء واسم، فالصّورة السّمعية ليست الأصوات الماديّة بخصائصها الفيزيائية، وإنّما هي البصمة النّفسيّة للصّوت»⁽²⁾، ويمكن توضيح ذلك كالآتي:

(1) - سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 51.

(2) - نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة، الاسكندرية، دط، 2006، ص 319.



وتوضّح هذه الخطاظة أنّ العلامة اللغويّة تتكوّن من عنصرين هامّين هما: (المفهوم، والصّورة السّميّة)، فهي «وحدة النّظام والعنصر اللّساني الذي يتكوّن من صورة سمعيّة ومفهوم، ويبقى "دو سوسير" مصطلح (العلامة) للدّالة على الكلّ وتعويض (المفهوم أو الصّورة الذّهنيّة) و(الصّورة السّميّة أو الصّوتيّة) بلفظي الدّال والمدلول (Signifié/ Signifiant)⁽¹⁾، كما يمكن أن يكون للدّال مجموعة من الدّوال والمفاهيم المتعدّدة وبذلك استفادت السّيميائيّات المحايثة من (العلامة) إذ انطلقت من دلالة الكلمة في الجملة إلى الخطاب كجملة كبرى، وذلك باعتباره كلا دالاً يبحث عن مدلولاته المختلفة والمتضمّنة في أغواره.

(1) - ينظر: نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 319

- مبدأ الاختلاف:

يرتكز المحلل السيميائي في دراسة ووصف الأشكال الداخليّة لدلالة النصّ على مبدأ الاختلاف (Différence)، الذي أرسى قواعده "ف. دو سوسير" واستعمله للدلالة على أنّ المفاهيم المتباينة تكوّن معرفة ليس بشكل إيجابي من مضمونها وإنما بشكل سلبي من علاقتها مع العناصر الأخرى للنظام⁽¹⁾، حيث يتمّ إدراك وفهم معنى اللفظ من خلال وجود الضديد له «فلا وجود للمعنى إلاّ مع الاختلاف وهو المبدأ الذي توجهه الدلاليّة كمسار لها للبحث في تطوّر الدراسات البنيويّة»⁽²⁾.

ولقد بلور "غريماس" هذا المبدأ داخل تصوّر جديد يقتضي فيه الاقتراب من المسألة الدلاليّة لاستيعاب الاختلافات المنتجة للمعنى دون الاكتراث لطبيعتها في إطار بنية تدرك بحضور عنصرين على الأقلّ تربطهما علاقة بطريقة أو بأخرى⁽³⁾، وكما استفاد "غريماس" من مبدأ الاختلاف في تشكيل المربع السيميائي الذي يقوم أيضا على مبدأ التّقابل الأرسطيّ فالمربع السيميائي مبني على تمثيل الوحدات الدلاليّة (كالموت والحياة) فإدراكنا لمعنى الكلمة يستخلص من المضاّد لها، وأيضا استثمره "غريماس" في بلورة التّباين والاختلاف في الكلمات في النصّ السردّي بالمقابل وجود

(1) - ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبّة للنشر الجزائر، دط 2000، ص 10.

(2) - ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص 10.

(3) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السرية، ص 10.

التشاكل في الكلمات والذي اهتم به السيميائيون فيما بعد خاصّة «فرانسوا راستي" الذي ارتبط اسمه بمفهوم التشاكل السيميائي»⁽¹⁾.

2-2- تصور لويس هيلمسليف:

استفادت السيميائية من بعض المفاهيم والمصطلحات السائدة في الحقل الألسني منها ما تطرّقنا إليه عند "دو سوسير" ومنها مصطلحا التعبير والتّضمين أو التّعبير والمحتوى عند "هيلمسليف"، وهما عند "دو سوسير" بمفهوم الدّال والمدلول. فكيف استثمرت السيميائية السردية هذين المصطلحين؟.

- التّعبير والمحتوى:

يعدّ كلّ من التّعبير والمحتوى «من المصطلحات الشائعة في الدّرس النّقدي الحديث، كون كلّ نظام سيميائي يحتوي على صعيدين مختلفين صعيد التّعيين وصعيد التّضمين أو صعيد العبارة وصعيد المحتوى، وإنّ أوّل من تنبّه إلى هذه التّنائية في الدّراسات اللّسانية الحديثة "هيلمسليف"، وذلك سنة (1940) حيث نقد نظريات (براغ) وعدّها نظريات تهتمّ بالجانب الشكلي من اللغة فقط، لذلك وضع لسانيات جديدة سماها (كلوسيماتيكية) (Glossématique) وحمل معها إلى النّظريات السيميائية المستقبلية مضمونا

(1) - عبد المجيد عابد، "السيميائيات الجذور والامتدادات"، <http://www.Atida.org/>،

.fowms/showthead php:

مزدوجاً، هو التّعيين والتّضمين أو التّعبير والمحتوى هذا المضمون الذي سيتمّ الاهتمام به بعد عشرين سنة من طرف "رولان بارت" خاصّة»⁽¹⁾.

وقد بحث "هيلمسيلف" عن طبيعة العلاقات التناظرية التي يتشكّل منها النّص أو الخطاب من خلال مفهوم التّعبير والمحتوى «فيحدّدهما في كتابه "مقدمة لنظرية في اللّغة" (Prolégomènes à une) (théorie du langage) باعتباره (مركب دال/ مدلول) أو في كل نظام من أنظمة التّعبير والتّواصل والتّضمين كنظام ثان من الفهم الإيديولوجي والتّاريخي والاجتماعي»⁽²⁾. ويمكن توضيح العلامة كالآتي⁽³⁾:

جوهر (Substance)

المحتوى (Contenu)

شكل (Forme)

التعبير (Expression)

شكل (Forme)

جوهر (Substance)

ولعل هذه من أهم منجزات "هيلمسيلف" إدخال المفهومين الجديدين الآتيين إلى البحث اللّساني وهما: التّمييز بين التّعبير (Expression) والمحتوى (Contenu)، والتّمييز بين الشّكل (Forme)، والجوهر

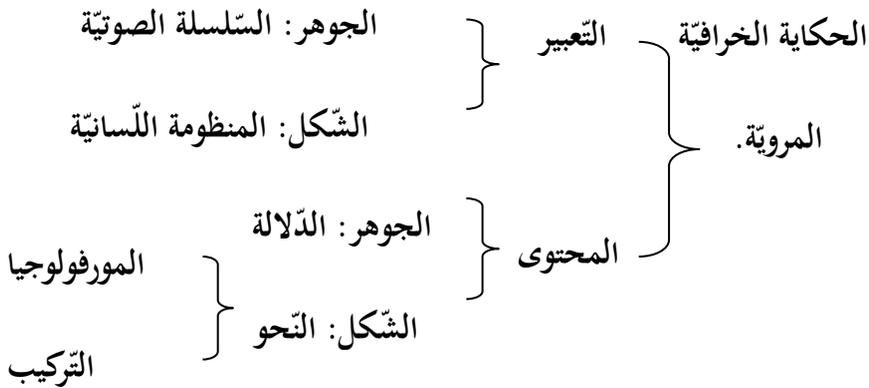
(1) - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 199.

(2) - المرجع نفسه، ص 199.

(3) - Voir, Umberto Eco, Le signe, Éditions labor, 1998, p: 119, 120.

(Substance)»⁽¹⁾، ويتمّ التّمييز انطلاقاً من وجود (المحتوى) وهو فهم معنى الكلمة انطلاقاً من علاقتها بالكلمات المجاورة أو المدلولات الأخرى، و(جوهر التّعبير) وهيّ الأصوات اللّغويّة في الكلمة، و(شكل التّعبير) وهو القاعدة التّركيبية أو الجانب النّحوي والصيغي للكلمة.

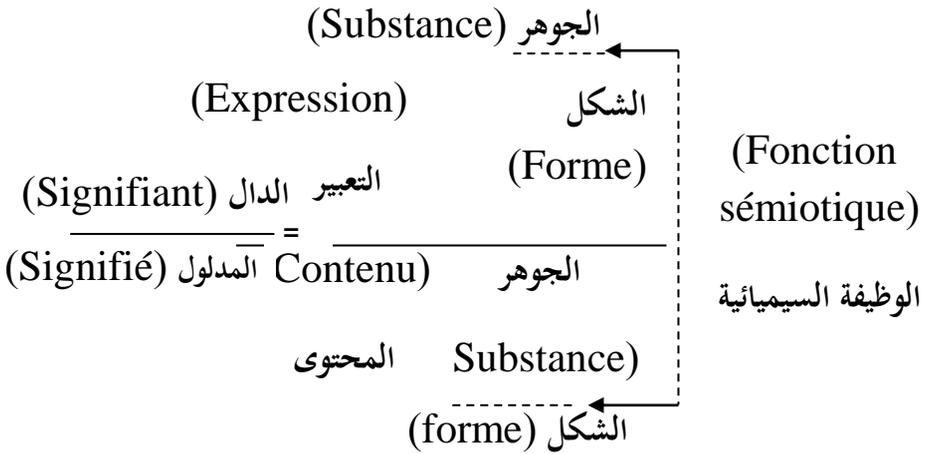
وكما اهتم "هيلمسليف" بتحديد الوظيفة السّيميائية باعتبارها نسبة يقيّمها تعاقد عرفي بين عنصر (شكل التّعبير)، و(شكل المحتوى)، فينظر إلى الكون السّيميائي بوصفه كونا مؤلّفاً من الوظائف السّيميائية، وليس مؤلّفاً من "الدّلائل"، وهذا النّمودج "الهيلمسليفي" استثمره "غريماس" في صياغته للحكاية الشّعبيّة العجيبة كما تصوّرها الباحث الفلكلوري الرّوسي "فلاديمير بروب"، وفي استخلاص بعض مستويات التي تشغلها نظريّته السّيميائية السردية- الخطابية شكل النّمودج الآتي⁽²⁾:



(1)- ميكا إيفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعيد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد المجلس الأعلى للثقافة، ط2، دم، 2000، ص326.

(2)- ينظر: طائع الحداوي، سيميائيات التأويل الإنتاج ومنطق الدلائل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص366.

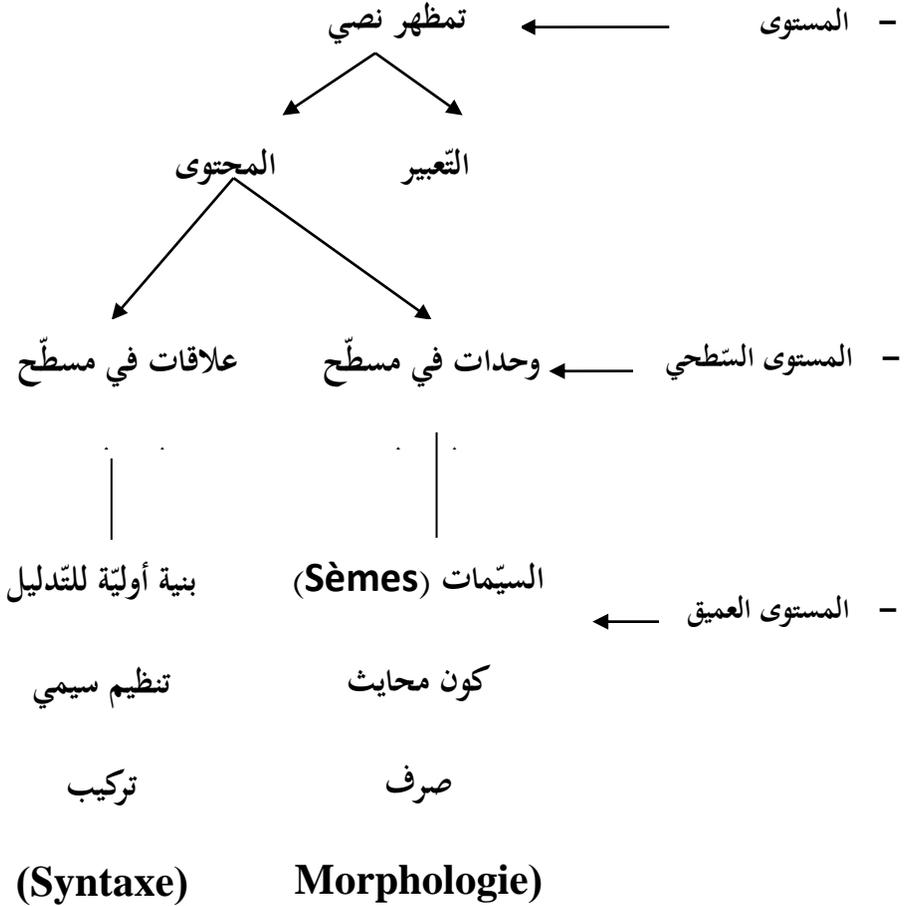
فالمحتوى هو الواقع الحيّ نفسه الذي هو موضوع التّواصل أمّا التّعبير فيشمل كلّ الوسائل التي يتمّ بها نقل كلّ المعلومات عن المحتوى وتحويلها إلى مصطلحات لغويّة، أيّ إلى لغة⁽¹⁾، أمّا «الوظيفة السّيميائية حسب نموذج اللّسانيّات البنيويّة لإنتاج الدّلالة فهي طريقة مؤلّفة من وحدتين: مثل وضع علامة بين مخطّط التّعبير (الدّال)، ومخطّط المحتوى (المدلول)، لـ "دوسوسير" وبالضّبط بين شكل التّعبير وشكل المحتوى، ويقدم بخصوص المخطّط المعطى لإنتاج الدّلالة أو الوظيفة السّيميائية (Fonction Sémiotique) من قبل "هيلمسليف" كالآتي⁽²⁾:



(1) - ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ص 327.

(2) - Voir, Nicole Everaert Desmedt, Sémiotique du récit, Université Bruxelles, imprime en Belgique, 2000, p:86.

ويمكن أن «تتضح أهمية النموذج في تداخل البنيتين العميقة والسطحية والعلائق التي ينتجها المحتوى والتعبير»⁽¹⁾، ويمكن أن نحدّد ذلك في ترسيمة المستويات السيميائية كآلاتي⁽²⁾:



(1)- Voir, Nicole Everaeit Desmedt, Sémiotique du récit, p86.

(2)- ينظر: طائع الحداوي، سيميائيات التأويل، الإنتاج ومنطق الدلائل، ص366.

وانطلاقاً من تصوّر "هيلمسيلف" لثنائية المحتوى والتعبير، حدّد "غريماس" النّص السّردي بمستويين هما: المستوى السّطحي، والمستوى العميق ومنه فقد «ظل "غريماس" مخلصاً للنظرة المحايدة قصد بناء مشروع علمي للمعنى كما أظهر الإمكانيات لمفاهيم "هيلمسيلف" اللّسانية ومرونتها داخل جهاز المفاهيم السّيميائية، وبخاصّة أنّه بين المستويات الثلاثة للسان وهي كالآتي:

1- الخطاطة (Schéma): وهي عبارة عن شكل صرف اللّسان.

2- المعيار (Norme): وهو عبارة عن شكل مادّي محدّد سلفاً.

3- الاستعمال (Usage): وهو عبارة عن جملة من العادات الخاصّة بمجتمع ما، وكان لاستبدال وجهة العلامة من الدّال والمدلول إلى التّعبير والمحتوى وتحديد الوظيفة السّيميائية في شكلي التّعبير والمحتوى الأثر الكبير في إضفاء الصبغة المحايدة على دراسة المعنى»⁽¹⁾.

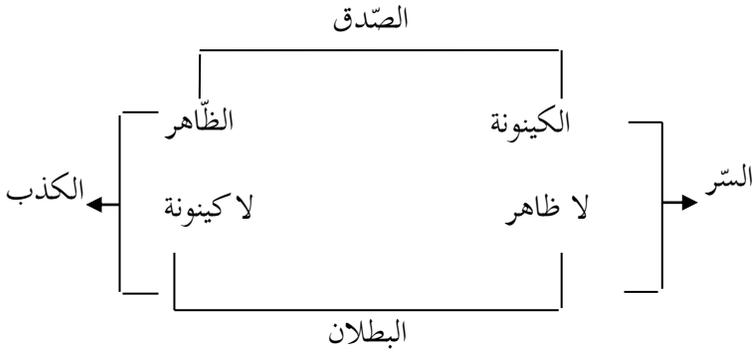
- مبدأ المحايدة:

يعدّ مبدأ المحايدة من «أهمّ السّمات البنيوية ومعناه في عرف المدارس البنيوية أنّ النّص - أو الملفوظ- لا يحلّل إلا انطلاقاً من خواصه الداخليّة فهذه الخواص هي التي تمكّن من تحديد الملفوظ باعتباره بنية مغلقة من شأنها أن توصف من حيث هي بقطع النّظر عن كلّ سيرورة تاريخيّة، ومبدأ المحايدة مرتبط بالدراسة الآنيّة كما يحدّدها "دوسوسير" وهذا المبدأ يؤدّي إلى قطيعة نظريّة بين الملفوظ المحقّق المنتج وبين الذين ينتجونه»⁽²⁾.

(1)- ينظر: أحمد يوسف، السيميائيات الوصفة المنطق السيميائي وجبر العلامات، ص 81.

(2)- نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 303.

وتبني "ل. هيلمسليف" (L.Hjehmslev) مبدأ المحايثة ليؤكد على ضرورة استبعاد الوقائع غير اللسانية من عملية الوصف والنظر إلى موضوع اللسانيات باعتباره شكلا، انطلاقا من هذا التحديد الذي يشكل قفزة نوعية في الدراسات اللسانية، سيعمد "غريماس" إلى صياغة مبدأ المحايثة في البحوث السيميائية وفق منظورين بين المنظور الأول على مقولة التصديق (Véridiction) المتمفصلة إلى محوري المحايثة (الكينونة)، والتجلي (الظاهر)⁽¹⁾. وتتفرع محصلة هذه الثنائية الأساسية - في مرتبة أعلى - إلى أربع مقولات تظهر في المربع التصديقي على النحو الآتي⁽²⁾:



وكما يؤسس "غريماس" المنظور الثاني على المقابلة: المحايثة/ السمو أين يمكن أن تسخر على الرسم السردى لإبراز تباين موقعي الفاعل والمرسل⁽³⁾، فالمرسل يلعب دور المحرك لدفع الذات نحو تحقيق الإنجاز

(1) - رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص 09.

(2) - المرجع نفسه، ص ن.

(3) - المرجع نفسه، ص 10.

في البرنامج السردّي، فالخطاطة السردّيّة تكشف ظهور الفاعل وهو الدّات المنجزة وكيونة المرسل المحرّك المحايث في الرّسم السردّي.

وبذلك تعدّ المحايثة البحث في أغوار النّص للكشف عن معانيه الخفيّة ومنه «فالسيميائيّة السردّيّة تأثّرت "بهيلمسليف" الذي كان يقول بضرورة دراسة اللّسان دراسة محايثة بعيدا عن كلّ العناصر الخارجيّة السّباقة إلى الاستفادة من المردوديّة المعرفيّة والتّحليليّة لهذا المبدأ في تحديد مستويات الدّلالة وأنماط تشكلها»⁽¹⁾، وعليه فالمحايثة والتّجلي عنصرين هامّين في العمل السردّي في تشكيل المادّة وإنتاج الدّلالة وكما استثمر "غريماس" تصوّر "سوسير" و"هيلمسليف" فقد استفاد أيضا من تصوّر "تشومسكي" في مفهوم الكفاءة والأداء، ومن تصوّر "رومان جاكبسون" حول نظريّة التّواصل.

2-3- تصوّر تشومسكي:

يعدّ صدور كتاب "تشومسكي" (البنى التّركيبية) بمثابة الانطلاقة الأولى لذئوع نظريّته التي ستعرف تطورا كبيرا وستحتلّ مركز الصّدارة في السّتينات والسّبعينات وكان لها ولا يزال آثار عظيمة في توجيه للأبحاث اللّغويّة وفتح آفاق جديدة في مجال تحليل اللّغات ودراسة السّلك اللّغوي البشري⁽²⁾، وتقوم نظريّة "تشومسكي" على مجموعة من المفاهيم في البنية

(1) - سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 166.

(2) - ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبّة للنشر الجزائر، دط

التركيبية إذ يرى أنّ البنيوية غير قادرة على شرح العلاقات التي يمكن أن تقوم بين مختلف الجمل فهناك بعض الجمل تشترك في الشكل في حين تختلف من حيث المعنى مثل الجملتين الآتيتين⁽¹⁾:

- كان نجاح الطالب مؤثراً.

- كان رسوب الطالب مؤثراً.

كما وقف "تشومسكي" على الجمل التي تحتل شكلين مختلفين ولا يتميز

المعنى بينهما مثل:

- أحمد يحبّ فاطمة أكثر من علي.

- انتظرتك أمام باب المتحف القديم.

مثل هذا الطرح دفع "تشومسكي" إلى التأكيد بأنّ لهذه الجمل معنى

ظاهر أي البنية السطحية (superficielle Structure) ومعنى آخر

وهو (المعنى المقصود العميق) البنية العميقة (profonde Structure)⁽²⁾.

وهناك قوانين قد وضعها "تشومسكي" تطبّق على البنية العميقة فتحوّل

إلى البنية السطحية وهي القوانين التحويلية «وتتميّز البنية العميقة بأنّها البنية

المولدة في قاعدة التركيب وهي البنية التي تمثّل التفسير الدلالي للجملة

والتي تتحوّل بواسطة القواعد التحويلية إلى البنية السطحية، أمّا البنية السطحية

فهي نتاج العملية التوليدية التي يقوم بها المكوّن التركيبي، ويتألّف المكوّن

(1) - ينظر: نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص334.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص335.

التركيبى من مكونين: - مكون الأساس (ويرتبط بالبنية العميقة) ومكون تحويلي (يرتبط بالبنية السطحية)»⁽¹⁾.

واعتمدت سيمياء السرد "غريماس" «على أعمال "هيلمسليف" (Hjehmslev)، وعلى قواعد "تشومسكي" التوليدية لترسم نوعين من البنى: البنية العميقة وهي نموذج يختزن كل إمكانات السرد، والبنية السطحية وهي صورة من هذه الإمكانيات محققة في نص سردي»⁽²⁾، إذ أخذ مفهوم البنية السطحية للنص والتي تشتمل على دراسة المركبة الخطائية والمركبة السردية ومفهوم البنية العميقة للنص والتي تشتمل على دراسة المركبة المنطقية الدلالية.

- الكفاءة والأداء:

وكما استفاد "غريماس" من مفهومي (الكفاءة، والأداء) الذي استوحاه "تشومسكي" من "سوسير" حيث «يعتمد إدراك مفهوم "تشومسكي" على فهم التمييز الألسني الذي أشاعه "فرديناند دو سوسير" حين ميّز بين اللغة كنظام له قواعده وأعرافه (Langue)، وبين (الكلام) أو عملية القول الفعلية التي يقوم بها شخص ما (Parole) ضمن هذا النظام اللغوي، أي الفرق بين النظام اللغوي المقعد وبين السلوك الفردي حينما يمارس الفرد لغته جاء "تشومسكي" ليطلق مصطلح (القدرة/ الكفاءة) على ما أسماه "سوسير" باللغة (Langue) ومصطلح الأدائية (Performance) على السلوك الفردي حينما يمارس

(1) - ينظر: نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص336.

(2) - لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، (عربي، انجليزي، فرنسي)، مكتبة لبنان

ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص37، 38.

شخص ما عملية القول والكلام»⁽¹⁾. وبذلك تعتبر الكفاءة «المعرفة الحدسيّة الضمنيّة للغة وهي القدرة على توليد الجمل وفهمها وعلى التميّز بين الجمل النحويّة والجمل اللانحويّة، "فتشومسكي" يسمّي القدرة على إنتاج الجمل وتفهمها في عملية تكلم اللغة بالكفاءة اللغويّة (Competence)، وأمّا الأداء (Performance) أو الإنجاز فهو التّجسيد المادّي لنظام اللغة في إحداث الكلام، فهو خروج الكفاءة اللغويّة من حيّز القوّة إلى حيّز الفعل، وهو عبارة عن الجمل التي ينجزها المتكلّم في سياقات التّواصل المتنوّعة»⁽²⁾.

وكما قام "غريماس" بتعديل «جوهريّ في الاقتراب المنهجي من الظاهرة اللغويّة لمشروع "تشومسكي"، فتنجسد الكفاءة من منظور "غريماس" بمعرفة الفعل (...). ولئن كانت معرفة الفعل حدثا بالقوّة فإنّها مستقلّة عن الفعل الذي تقوم عليه وبعبارة أخرى، إنّ الكفاءة اللسانيّة ليست شيئا لذاته بل هي حالة خاصّة لظاهرة أشمل تدخل في إطار إشكاليّة الفعل الإنسانيّ وتؤسّس الفاعل بوصفه عاملا (Actant)، ضمن هذا التّصور المنهجي، ينظر "غريماس" إلى الأداء اللساني على أنّه حالة خاصّة ضمن إشكاليّة عامّة تسخّر لفهم النّشاطات الإنسانيّة التي تأخذ شكلا متنوّعا الخطابات»⁽³⁾، ومنه يميّز

(1) - ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا معاصرا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002 ص206.

(2) - ينظر: نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص337-338.

(3) - ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص19.

”غريماس“ بين نوعين من الأداء: الأول يستهدف امتلاك قيمّ الجهة (Valeurs modales)، والثاني يتميّز بامتلاك وإنتاج القيمّ الوصفية (Valeurs des criptives)⁽¹⁾.

وبالإضافة إلى تمييز «غريماس» الدقيق بين معرفة الفعل والفعل فإنّه يفترض في كلّ سلوك برنامجاً سردياً مضمراً وكفاءة تضمن تنفيذه، وتعتبر الكفاءة من هذا المنظور: (كفاءة جهة يمكن أن توصف كتتنظيم متدرّج الجهات)، وتنبني هذه الكفاءة على جهات الإرادة الفعل (Vouloir-Faire) وجوب الفعل (Devoir-Faire)، والقدرة على الفعل (Pouvoir-Faire) معرفة الفعل (Savoir-Faire)⁽²⁾.

وبذلك صاغ ”غريماس“ مفهومي (الكفاءة والأداء) ضمن أطوار الخطاطة السردية، فالكفاءة هي ما تمتلكه الذات العاملة من معرفة وخبرة وشروط نحو تحقيق الإنجاز، والأداء وهو مرحلة التنفيذ والشروع في الفعل أيّ طور الإنجاز، وسنفضّل في أطوار الخطاطة السردية أكثر في هذا الفصل من الدّراسة.

2-4- مدرسة براغ: (تصوّر رومان جاكبسون):

تعدّ مدرسة براغ امتداداً لمدرسة الشكلايين الروس حيث «دعا» فيلم ماتيزيوس " سنة (1926) إلى تأسيس حلقة السنّية عرفت فيما بعد ب: حلقة براغ

(1) - ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص 19.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص 20.

وقد استقطبت هذه المدرسة العديد من علماء الألسنيّة الشبان»⁽¹⁾، وقد تأسست مدرسة براغ على يد «رومان جاكبسون» (R. Jakobson)، و«أندري مارتيني» (A. Martinet)، ومفاهيمها مستقاة من أعمال سوسير حول علم اللّغة الحديث إلاّ أنّها وجّهت اهتمامها إلى ربط الأصوات بالدلالة والمعنى حيث كان الهدف متمثلاً في سنّ قوانين عامّة تبين تنظيم البنيات الأولى للّغة (بشكل عام) بالإضافة إلى هذا يفصل أن تكون هذه القوانين مستتبطة بشكل منطقيّ يعطيها الطّابع المطلق»⁽²⁾.

وبذلك فقد وقعت لدى مدرسة براغ إرهابات (البنويّة) الأولى حيث تأثرت بمبادئ علم اللّغة عند (سوسير) وكذا الفلسفة الظواهريّة (Phenamenology)، ومذهب الجشطالت (Gestalt) في علم النّفس واستلّت من هذه المعارف نموذجاً فكرياً شاملاً لتفسير الظواهر والأفكار في مجال العلوم الإنسانيّة والعلوم الاجتماعيّة أطلق عليه "جاكبسون" عام (1929) بمصطلح (Structuralism) أي (البنويّة)⁽³⁾.

(1) - فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون (دراسة ونصوص)

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1993، ص259.

(2) - ينظر: عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، دم، 2002، ص275.

(3) - ينظر: فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون (دراسة ونصوص)

ص259.

ومن مبادئها الأساسية أنها نظام تؤكّد على وظيفتها وغايتها وهما (التعبير والتّواصل) (...) ومن ناحية أخرى ركّزت مدرسة براغ على ضرورة دراسة اللّغة دراسة وصفية تزامنية⁽¹⁾.

وكما يقوم إطارها «الفكري المرجعي على أفكار ثلاث هي: البناء (Structure)، والوظيفة (Fonction)، والعلامة (Signe)، والبناء يتكوّن من أبنية صغيرة تساهم في تكوين النّظام النّقافي الذي يرتضيه المجتمع (...) ثم إنّ أصحاب هذه المدرسة قد ذهبوا إلى كلّ عمل فنّي هو في الواقع تطبيق لشفرة جماليّة محدّدة وأمّا الوظيفة فهي تفصل بين هذه الشّفرات بعضها بعضاً في حين أنّ العلامة (Signe) هيّ عنصر من عناصر الشّفرة فيكون بذلك لدينا شفرات لغويّة وأخرى اجتماعيّة وثالثة ثقافيّة»⁽²⁾، ويكون التّواصل بانتقال الكلام المنتج من المرسل نحو المرسل إليه في شكل مرسلّة، وهيّ كتلة نطقية يقوم المرسل إليه بترجمتها وتأويلها، ومنه فقد وضع "رومان جاكبسون" نموذجاً يوضّح العمليّة الكلاميّة للتّواصل من المرسل إلى المرسل إليه كما في الشّكل الآتي⁽³⁾:

(1) - ينظر: فاطمة الطّبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون (دراسة ونصوص) ص259.

(2) - عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، ص276.

(3) - ينظر: فاطمة الطّبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون (دراسة ونصوص) ص65.

سياق

المرسل المرسل إليه

اتصال

نظام رموز

وتتكوّن هذه التّرسّيمة من سنّة عناصر هي⁽¹⁾:

- 1- المرسل: وهو المتكلّم مصدر الرّسالة.
 - 2- المرسل إليه أو المستقبل: وهو الذي يقوم بفكّ الرّموز وفهم النّص.
 - 3- المرسلّة: تركّز على المخزون اللّغوي الذي يختار منه المرسل ما يحتاج إليه للتّعبير ثمّ ينظّمه في مقولة يبيّنها إلى المرسل إليه.
 - 4- السّياق: لا تفهم الرّسالة أو المرسلّة إلّا ضمن سّياق نردّها إليه وهو ما نسمّيه المرجع.
 - 5- النّظام: ثمّ تأخذ المرسلّة نظاما مشتركا بين الباعث وفاك الرّموز أو بين المرسل والمرسل إليه.
 - 6- قناة الاتّصال: لا بدّ من وجود قناة الاتّصال بين المرسل والمرسل إليه لإقامة التّواصل.
- وعلى هذا الأساس استفادت النّظريّة السّيميائية من نموذج "رومان جاكبسون" في ضبطه لعمليّة التّواصل من خلال العناصر السّنة الأساس

(1) - ينظر: فاطمة الطّبال بركة، النّظرية الألسنية عند رومان جاكبسون (دراسة ونصوص)

في العملية الكلامية وتحديد كلّ عنصر منها بوظيفة لغوية تواصلية تختلف عن العنصر الآخر، فالإشارة اللغوية تفهم من خلال السياق، والمعنى لا يكمن في الكلمات فقط بل في التّواصل بأكمله، «فالرسالة كقول لغويّ تتجّه عادة بحركة سريعة من باعثها إلى متلقيها وغايتها هيّ نقل الفكرة، وإذا ما فهم المتلقي ذلك انتهى دور المقولة عندئذ، ولكن في حالة (القول الأدبيّ) تتحرف (الرسالة) عن خطّها المستقيم، وتعكس توجّه حركتها وتثنيها إليها إلى داخلها بحيث لا يصبح (المرسل) باعثاً، و(المرسل إليه) متلقيّاً، وإنّما يتحوّل (الإثبات معاً إلى فارسين متنافسين على مضمار واحد، يضمنها ويحتويهما وهو القول أيّ (النص) ويتحوّل القول اللغوي من رسالة إلى نصّ ولا يصبح هدفها نقل الأفكار أو المعاني بين طرفي الرسالة ولكنها تتحوّل لتصبح هيّ غاية بنفسها وهدفها هو غرس وجودها الذاتيّ في عالمها الخاص بها»⁽¹⁾ وتكوّن بذلك نصّاً من النصوص تتداخل وتتشابك لتؤسّس فيما بينها سياقاً أدبيّاً حتّى يصبح جنساً محدداً كالشعر والرّواية⁽²⁾.

وبذلك أخذ "غريماس" من نموذج التّواصل لـ: "رومان جاكبسون" مسألة التّنافس بين المرسل والمرسل إليه في مضمار القول (النص) حول الرّسالة إذ أسقط ذلك في المسار السردّي، فحدّد صراع الذات والذات المضادة حول الموضوع، فالرسالة تمثّل الموضوع المرغوب فيه بين الذات، «كما أنّه استفاد

(1) - ينظر: عبد الله محمد الغدامي، الخطيئة والتفكير من البنيوية إلى التشريحية (قراءة نقدية لنموذج معاصر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1998 ص10.

(2) - المرجع نفسه، ص ن.

من مفهوميّ المرسل والمرسل إليه اللذين استعارهما من نموذج التّواصل»⁽¹⁾ غير أنّ المرسل بالنّسبة إلى "غريماس" لا يبلغ المرسل إليه رسائل بل يقوم بدور تحريك الدّات نحو تحقيق الموضوع إلى المستفيد وهو المرسل إليه.

ومنه يمكن القول إنّ "غريماس" لم يتوقّف في دراسته وبحثه على الحقل الفلسفيّ فقط بل حاول أن يلمّ بالجانب اللّساني، وذلك بالغوص في المدارس اللّسانية والاستفادة منها خاصّة "سوسير" و"هيلمسليف"، ولعلّ البحث في الرّوافد المرجعيّة لنظريّة "غريماس" يدفعنا إلى البحث في الجانب السّردي واستجلاء الدّراسات المهمّة التي استخلص منها "غريماس" تصوّره، وهو ما حاولنا رصده في الرّافد المعرفي.

3- الرّافد المعرفي:

سنقف في هذا الرّافد على دراسات مهمّة لبعض من الباحثين تركوا بصمتهم في الدّراسات السّرديّة مثل: دراسة "بروب" (Propp) في مؤلّفه: (مورفولوجيّة الحكاية الشّعبيّة)، و"جورج دوميزال" و"كلود ليفي ستروس" (Strauss C.Levi) في دراسة الأساطير، و"سوريو" (Sourieau) في التّصوُّص المسرحيّة و"تنيير" (Tessnière) اللّساني المهتم بدراسة الملفوظ والعامل، وعليه سنحاول ضبط النّقاط المهمّة في نماذجهم الفكريّة ودراساتهم التي اندرجت ضمن الرّوافد المرجعيّة لنظريّة "غريماس".

(1) - ينظر: عبد القادر شرشال، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص -دراسة-

<http://www.awu.dam.org/>، الخميس 2008/11/6، 10:40 سا.

3-1- تصوّر بروب (Propp):

لم يعرف الخطاب السّردّي أيّة دراسة جديدة تهدف إلى الكشف عن أسلوب بنائه وعن نمط اشتغاله إلاّ في فترة متأخّرة وبالتّحديد مع بداية هذا القرن، ويعود الفضل في ذلك إلى الباحث السوفياتي "فلاديمير بروب" (V. Propp) * والذي معه سيخضع الخطاب السّردّي (الحكايات العجيبة) لأوّل مرّة لدراسة لا تقف عند حدود تعيين مواضيعه أو تصنيف وحداته بل تهدف إلى مساءلة النّص في ذاته ولذاته من خلال بنيته الشكليّة ومن ثمّ فإنّها تحاول الكشف عن الخصائص التي تميّزه عن غيره من الخطابات⁽¹⁾، فكان اهتمامه متمحورا في دراسة الخطابات لتحقيق أهداف لديه، حيث «كان طموح "بروب" هو الوصول إلى الكشف عن العناصر المشتركة المشكّلة للمتن المختار أيّ الوصول إلى عزل العنصر الدائم عن التّمظهرات المختلفة التي لا تشكّل وفق تصوّره سوى تنويعات لبنية واحدة»⁽²⁾.

* فلاديمير بروب (1895-1970) فلكلوري روسي درس الأثنولوجيا في جامعة لنيغراد من بين مؤلفاته: الجذور التّاريخية للخرافة العجيبة (1946)، الشّعْر الملحّي الرّوسي (1955)، الأعياد الفلاحيّة الرّوسيّة (1963)، أوديب في ضوء الفلكلور، ينظر: فلاديمير بروب، مورفولوجية الخرافة، تر: إبراهيم الخطيب، نشر الشركة المغربية للناشرين المتحدّين ط2، دت، ص06.

(1) - ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، منشورات الاختلاف الجزائر، ط2، 2003، ص10.

(2) - سعيد بنكراد، المرجع نفسه، ص ن.

فحاول "بروب" استخلاص ما هو ثابت في دراسته للنصوص الحكائيّة إذ «يريد استخلاص نظريّة من خلال جمعه لمائة حكاية روسيّة بغية رصد البيانات الشكليّة، ونظرا لتغير الحبكات واختلاف العقد في مضامين الحكى استوجب تقسيم المادّة إلى أجزاء متعدّدة قصد الترتيب الدقيق الذي يعني أحد خطوات الوصف العلمي»⁽¹⁾، ويعتقد كذلك "بروب" أنّ الثابت في التحليل يمكن إحصاؤه شبيهه في ذلك ببيان الوظائف المسرحيّة الثابتة من طرف "سوريو" في عمله بخصوص (200.000) وظيفة دراميّة (مسرحيّة) إلّا أنّه يخصّ التحليل الواقعي لا يبتعد أكثر عن وصف "بروب"⁽²⁾.

وقد عُرف تصوّر "بروب" أكثر من خلال كتابه: (مورفولوجية* الحكاية الشّعبيّة) سنة (1928) في روسيا والمترجم حديثا إلى الفرنسيّة إذ طرح "بروب" أسس التحليل الوظيفي⁽³⁾، حيث بحث عن الثابت والمتحوّل في النصوص ووجد أنّ الثابت هو الفعل والمتحوّل هي الشخصيّة إلّا أنّه ركّز على الثابت دون المتحوّل، وبذلك استخلص إحدى وثلاثين وظيفة، والوظيفة

(1) - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص 20.

(2) - Voir, A, J, Greimas, Sémantique Structurale Recherche de méthode Presses Universitaire de France, 1986, p: 175.

* تعني كلمة مورفولوجيا دراسة الأشكال وفي علم النبات تحتوي المورفولوجيا دراسة الأجزاء المكونة للنبات وكذا العلاقات فيما بينها وبين المجموع، وبعبارة أخرى دراسة بنية النبات وفي مجال الخرافة الشّعبيّة والفلكلوريّة نجد أنّ دراسة الأشكال وإقامة القوانين التي تسير البنية ممكنة وبنفس دقّة مورفولوجيا التشكّلات العضويّة. ينظر: فلاديمير بروب، مورفولوجية الخرافة، تر: إبراهيم الخطيب، ص 17.

(3) - ينظر: دليلة مرسلّي وآخرون، مدخل إلى السيميولوجيا (نص - صورة)، ص 42.

عنده هي فعل الشّخصيّة قد حدّده من وجهة نظر دلّالته في سيرورة الحكمة⁽¹⁾. وللوصول إلى استنتاج مجموعة من القواعد القابلة لأنّ تشتغل كنموذج عام انطلق بروب من الفرضيات الآتية⁽²⁾:

1- إنّ العناصر الدائمة والثّابتة داخل الحكايات هي وظائف الشّخصيّات كيفما كانت طبيعة هذه الشّخصيّات وكيفما كانت الطّريقة التي تمّت وفقها هذه الوظيفة.

2- إنّ عدد الوظائف داخل الحكاية محدود إنّه لا يتجاوز واحدا وثلاثين وظيفة.

3- إنّ التّتابع الذي يميّز هذه الوظائف تتابع واحد، إنّها تسير وفق نمط معيّن في كلّ الحكايات.

4- كلّ الحكايات العجيبة تنتمي إلى النّوع نفسه من حيث بنيته ويمكن ترجمة هذه الفرضيّة في صيغة أخرى، إنّنا أمام حكاية واحدة ببنية واحدة. وكما حاول "بروب" تصنيف وظائف الشّخصيات في شكل مجموعات صغيرة (دوائر الفعل)، إذ «إنّ العديد من الوظائف تجتمع منطقياً في فئات حسب دوائر (Sphères) معيّنة، وهذه الدوائر تطابق الشّخصيّات التي تتجزّ الوظيفيّات»⁽³⁾، ويمكن العثور في الخرافة على دوائر الفعل للشّخصيّات الآتية⁽⁴⁾:

(1) - ينظر: فلاديمير بروب، مورفولوجية الخرافة، تر: إبراهيم الخطيب، ص35.

(2) - ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص11، 12.

(3) - ينظر: فلاديمير بروب، مورفولوجية الخرافة، تر: إبراهيم الخطيب، ص83.

(4) - ينظر: المرجع نفسه، ص83، 84.

- 1- المعتدي أو الشرير .
- 2- الواهب أو المانح .
- 3- المساعد .
- 4- الأميرة .
- 5- الأداة أو الوسيلة .
- 6- البطل .
- 7- البطل المزيف .

وللتوضيح أكثر فإنّ «هناك اختلافا بين مستوى الشخصية، ومستوى في دائرة الفعل، بينما مثلا يتّضح المستوى العاملي ومستوى الوظائف قبل إعادة الملاحظة مع نظرية "غريماس" الذي قام بتعديل سبع دوائر للفعل التي وضعها بروب (...)، وفي ذلك نقطة انطلاق لدراسات "غريماس" الأكثر عالمية»⁽¹⁾.

لقد قام "بروب" باختزال (واحد وثلاثين وظيفة) إلى (سبع دوائر للفعل) وكلّ دائرة فعل تشمل على جملة من وظائف الشخصية، إذ تحدّد هذه الوظائف فعل الشخصية في الحكاية وهي كما في الجدول الآتي⁽²⁾:

الشخصيات	دوائر الفعل (الوظائف)
المعتدي (الشرير)	إساءة معركة مع البطل مطاردة
	13، و =
	16، و =
	21، و =

(1)– Voir, Jean, Michel Adam, le récit, paris 1984, p:28.

(2)– Ibid, p:29.

الواهب (المدير)	12، و = 14، و =	البطل يضع البرهان/ الدليل تحويل الموضوع السّحري
وسيلة (أداة)	15، و = 19، و = 19، و = 26، و = 29، و =	انتقال إصلاح مساعد البطل المنقذ اكتمال الواجب الصّعب تغييرات البطل
الأميرة	17، و = 25، و = 27، و = 28، و = 30، و = 31، و =	ملاحظة البطل وظيفة استدعاء العرفان بالجميل اكتشاف البطل المزيف عقوبة زواج
المساعد	9، و =	إرسال البطل للتنفيذ
البطل	10، و = 13، و = 31، و =	بداية الفعل التماس الصّلح مواجهة البرهان/ الدليل زواج
البطل المزيف	10، و = 13، و = 24، و =	بداية الفعل التماس الصّلح مواجهة البرهان/ الدليل الظّموح المخادع

وعلى هذا الأساس بلور "بروب" نموذجاً يحدّد أفعال الشّخصيّات في النّصوص فالفعل ثابت في الحكايات أمّا أسماء الشّخصيّات فهي متغيّرة «قبروب» ينطلق من عدد هائل من الحكايات لكي ينحو بها إلى التّجريد

إنّه ينطلق من سلسلة كبيرة من الأفعال الملموسة والموصوفة داخل الحكاية الشعبية، لكي لا يحتفظ إلاّ بعدد ضئيل من الوظائف يشهد على ذلك أنّ وظيفة الإساءة (Méfait) مثلا وحدها تغطّي ما يناهز التسعة عشر مظهرا أو تعابير تصويرية»⁽¹⁾.

وبذلك تتجلى لنا «قيمة النموذج البروبي التي لا تكمن في عمق التحليلات التي تدعمه ولا في دقّة صياغته ولكن تكمن في قدرته على إثارة الافتراضات، إنّه التخطّي بكلّ معانيه لخصوصيّة القصة العجيبة التي تطبع مسيرة السيميائية السردية منذ بدايتها، إنّ توسيع وترسيخ مفهوم الترسّيمة السردية القاعدية يبدو بهذا كواحدة من مهامها الآنيّة، وإذا كان "التتابع" البروبي باعتباره مقصدية دالة و متموقعا في مستوى أكثر عمقا من الخطيّة البسيطة للتمّظهر الخطابي، يسمح بالمصادرة على وجود ترسيمة سردية، منظّمة فإنّ التّمفصل المنطقي يعطي على العكس صورة لتتابع عكسي»⁽²⁾.

وبذلك كانت لأفكار "بروب" تأثيرها على كثير من النقاد البنيويين الذين أرادوا المضيّ قدما بأفكاره لتصبّ في نظرية الرواية أكثر تعميقا فحاولوا إقامة تصنيف للوظائف أكثر إيغالا في التجريد والتعميم ممّا فعل هو⁽³⁾، ولعلّ

(1) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص 15.

(2) - ينظر: جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية، تر: جمال حضري، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم الناشر، الجزائر، ط 1، 2007، ص 23.

(3) - ينظر: السيد إبراهيم، نظرية الرواية، دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1998، ص 18.

من بين هؤلاء "غريماس" الذي استثمر تصوّر "بروب" فكان محورا مرتكزا على مبدئين أساسيين تتّسم بهما الحكاية عموما وهما: البساطة (La simplicité)، والشّموليّة (L'universalité)، ومن هنا جاءت فكرة البحث عما وراء تلك البساطة واستجلاء أفق تلك الشّموليّة (...). حيث يطمح "غريماس" إلى بناء نظريّة تحقّق نسقا للخيال البشري بمعنى البحث عن شكل ضروريّ وعام يتّخذ كلّ تمثيل للنشاط البشري، إنّها قفزة نوعيّة للدراسات التقدّية المعاصرة وإدراك للرهانات العلميّة التي تقف وراء الممارسات السيميائيّة في أصولها⁽¹⁾.

استخلص "غريماس" من التتابع الزّمني للأحداث والتّحول بوضع أطراف المربّع السيميائي، وفي مسألة الاختبارات التي وضعها "بروب" في بلورة الخطاطة السّردية فالاختبار التّرشّحي (Épreuve Qualifiante) الذي يكتسب البطل خلاله الكفاءة وطاقة الإنجاز يليه الاختبار الحاسم أو الرّئيسي (Épreuve Principale ou Décisive) وهو المصلح للافتقار وأخيرا الاختبار الممجّد (Épreuve Glorifiante) الذي تقع فيه معرفة البطل الحقيقي ومكافأته⁽²⁾، وهو ما يتجلّى لنا في أطوار الخطاطة السّردية حسب تصوّر "غريماس" بالمصطلحات التّاليّة: (التّحريك، والكفاءة، والإنجاز، والجزاء) وكما استفاد "غريماس" من اختزال "فلاديمير بروب" للوظائف إلى سبع دوائر

(1) - ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص 21، 23.

(2) - ينظر: سمير المرزوقي، وجميل شاكر، مدخل إلى النظرية القصة تحليلًا وتطبيقًا، الدار التونسية للنشر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت، ص 71، 72.

حيث حدّد العوامل السردية الممتّلة للنموذج العاملي وهي: (المرسل والمرسل إليه، والذات والموضوع، والمساعد والمعارض)، وسنفضّل في ذلك في مرحلة المكاسب في هذا الفصل.

3-2- ليفي ستروس (C. Levi- Strauss):

يعتبر "كلود ليفي ستروس" أحد عمالقة "الأنثروبولوجيا" في القرن العشرين، تصفه الصحف الفرنسية بأنه أقوى مثقّف بفرنسا⁽¹⁾، حيث استفاد كثيرا من الدراسات البنيوية لكلّ من "سوسير" و"جاكسون" إذ لعب "كلود ليفي ستروس" دور الوسيط الأساسي في استخدام النموذج اللساني وطبقه على الأنظمة الثقافية الأخرى، كالخرافة والأساطير، وكانت "الأنثروبولوجيا البنيوية" الدّعمة الأولى للنقد البنيوي للسرد، ظهر إثر ذلك أعلام عديدة اشتغلت في هذا الحقل النقدي منها: (رولان بارت، وجينيت، وغريماس وأمبرتو إيكو، وتودورف، وجوليا كرسنيفا)⁽²⁾.

حيث نجد "كلود ليفي ستروس" في "أنثروبولوجيا البنيوية" يرى أنّ «علم الاجتماع هو الذي وضع التساؤل حول أبحاث بين الذهنية المحكيّة (الأصليّة)، والفكر العلمي (...) ويستدعي وجود فروق نوعيّة في أسلوب العقل البشريّ الذي يعمل هنا وهناك، لكن ليس من دون شكّ أنّ هناك الاثنان

(1) - أزراج عمر، أحاديث في الفكر والأدب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، دط، 2007، ص 381.

(2) - ينظر: محمد ساري، نظرية السرد الحديثة، مجلة السرديات، جامعة منتوري، قسنطينة الجزائر، العدد 01، جانفي، 2004، ص 18.

لأنّ العقل محور شارح دائم للمواضيع»⁽¹⁾، يحاول "كلود ليفي ستروس" توضيح مسألة في هذا النصّ متعلّقة بين ما هو ذهني خيالي أسطوري في النصّ المحكي وما هو فكريّ علميّ، حيث قد يختلفا من ناحيّة الوصف والطريقة أو الأسلوب إلاّ أنّهما يجتمعان في نقطة مشتركة هيّ العقل البشريّ الذي يجمع بين ما هو أسطوريّ وما هو علميّ في بناء الموضوع الحكائيّ ومنه كان اهتمام "كلود ليفي ستروس" في ذلك هيّ البنية الحكائيّة.

ولعل ما لفت انتباه "كلود ليفي ستروس" هو مؤلّف "بروب" الشّهير "مورفولوجيّة الحكاية العجيبة الرّوسيّة"، والذي يعود له الفضل في ترجمته بعد مدة زمنيّة قدرت بثلاثين سنة بعد نشره أيّ في سنة (1958)⁽²⁾ حيث تنبّه "ليفّي ستروس" إلى المبادئ الأولى التي أرسى دعائمها "بروب" في (دوائر الفعل) للحكاية، ممّا قاده إلى التّسليم بوجود إسقاطات استبداليّة تغطّي السّيرورة التّظاميّة في الحكاية البروبويّة، فهو يرى ضرورة إجراء (ازدواجيّة) للوظائف التي أسهب "بروب" في تحديد عددها⁽³⁾.

ومنه فقد انطلق "كلود ليفي ستروس" في قراءته للمشروع البروبي أن الفصل بين المستوى التّركيبي (Axe Syntagmatique)، والمستوى الاستبدالي (Axe Paradigmatique) هو الذي قاد "بروب" إلى الفصل بين

(1)– Voir, Christophe Carlier, Nathalie Griton – Rtter dam, «Des mythes aux mythologies», Imprimé en France, 1999, p76.

(2)– ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص17.

(3)– المرجع نفسه، ص ن.

المضمون والشكل، فالشكل وحده حسب "بروب" قابل للإدراك أمّا المضمون فلا يشكّل سوى عنصراً زائداً، ولا يملك أية قيمة دلالية»⁽¹⁾.

فقد نقد "لوفي ستروس" «مثال "بروب" من حيث الشكّنة التي أحدثها وكانت سبباً في التمييز الذي أولاه بالبعد النّظمي لمساعدته على التّطبيق الميكانيكي، وتوقّف التّحليل على مستوى البنيات السّطحية، خاصّة إذا ما تعلّق الأمر بالأبحاث الميثولوجية المقارنة التي لا يمكن البتة إخضاعها لكذا دراسة لأنّها لا تستقيم تحليلاً وتطبيقاً»⁽²⁾، وبذلك يجد في تصوّر "بروب" أنّه ضيّع المضمون في رحلته من الملموس إلى المجرد، وهذا ما جعل العودة من المجرد إلى المحسوس أمراً مستحيلاً.

وعلى هذا الأساس فإنّ النقطة المهمّة التي تربط بين "بروب" و"ستروس"، و"غريماس" هي دراسة الوظائف، وعليه «تنصبّ قراءة "كلود ليفي ستروس" للمشروع البروبيّ في مرحلة ثانية على الوظائف نفسها أيّ نمط اشتغالها وعددها وتتابعها، فإذا كانت العناصر المتحوّلة في التّحليل البروبيّ هي ما يشكّل كلّ الحكاية عند "ستروس" فإنّ الوظائف المتتابعة وعددها قابلة لأن يعاد فيها النّظر، فاستناداً إلى تقاطع التّركيبي مع الاستبدالي وإمكانية إسقاط المحور الأوّل على الثاني يمكن تقليص عدد الوظائف»⁽³⁾ ومنه يمكن أن يظهر في شكل ثنائيات من قبيل: (رحيل/ضدّ/عودة، وقوع

(1) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص16.

(2) - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص19.

(3) - المرجع نفسه، ص19.

الافتقار/ضدّ/ تعويض، تأسيس المنع/ضد/ خرق المنع»⁽¹⁾. وفي هذا التقلّص لا يرى "ستراوس" في كلّ زوج سوى وظيفة واحدة، والأمر لا يتعلّق بتقلّص عدد الوظائف بهدف الاحتفاظ بأقلّ عدد ممكن منها - بل يهدف إلى تكسير التّتابع - إحدى الفرضيّات التي قام المشروع البروبيّ عليها، والتّالي وبذلك رفض التّعريف الذي يعطيه "بروب" للحكاية باعتبارها تتابعا لواحد وثلاثين وظيفة (...). وهذه كانت نقطة الانطلاق في قراءة "غريماس" للمشروع البروبيّ⁽²⁾.

وفي مسألة بنية القصّة «يؤكد "ليفي ستروس" أنّ القصّة الأسطوريّة أو الحكاية عبر اختلاف رواياتها ما هيّ إلاّ تحقّق تركيبّي (Syntagmatique) لبنية أساسيّة ذات طبيعة دلاليّة (Semantique) هيّ نفسها البنية التي "حاول غريماس" تعريفها»⁽³⁾.

وبذلك حقّقت أعمال "ليفي ستروس" أثرا بالغا لدى "غريماس" إذ بدأت انطلاقتها في بنية القصّة أو الحكاية من خلال انتقادات "ليفي ستروس" "لبروب"، وكان الزّافد المرجعيّ والمعرفيّ لنظريّته يظهر لنا التّدخل في الدّراسات «والتشابه الكبير بين النّماذج التي استخرجها "بروب" من الحكايات الرّوسيّة المائة وبين "إ، سوريو" (Souriou) انطلاقا من (المائتي

(1) - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص 17، 18.

(2) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص 20.

(3) - محمد ساري، نظرية السرد الحديثة، مجلة (السرديات)، جامعة منتوري قسنطينة

الجزائر، ع 1، جانفي 2004، ص 21، 22.

ألف وضعيّة دراميّة) في الميادين المختلفة، وكما سيُشكّل "غريماس" نموذجاً من ستّة عوامل وذلك بالاعتماد على دراسات العالم المختصّ في الأساطير "جورج دوميزيل" (George Dumézil)، وعالم اللسانيّات "تينيير" (Tesièr) في السرد.

3-3- جورج دوميزيل (George Dumézil) (1898-1986):

وكما استفاد "غريماس" من انتقادات "لوفي ستروس" و"بروب" فإنّه «انطلق في تأمّلاته حول النماذج العامليّة من تحديد مستويين: (الوصف والشكل)، وهو يناقش أعمال الأسطوريّ "دوميزيل" خاصّة بحثه المتعلّق بوصف العالم الإلهي محلّلاً إياه برويّة، وذلك بإتباع الطريقتين المزدوجة الآتية⁽¹⁾:

- 1- اختيار إله معيّن باستظهار أفعاله ووظائفه يشكّل عاملاً في حدّ ذاته.
- 2- التطرّق إلى صفاته التي تميّزه عن الآلهة الآخرين من خلال أسمائه أو نعوته وتبيان السمة الأخلاقيّة التي تتّصف بها.

إذن هناك جانب وظيفيّ يتمثّل في فعل الإله، وجانب وصفيّ يتمثّل في أسمائه وصفاته وعليه «يميّز "غريماس" بين مستويين للتّحليل ذاهباً إلى أنّ الوصف لا يمكن أن يتمّ إلّا بعد استخراج العوامل (المحتوى) أيّ وصف (العوامل الجزئيّة) التي توجد فيها العوامل وتتحرك، لقد أدخل "غريماس" تغييراً جذريّاً لمعالجة مفاهيم "دوميزيل" ذات الأصول الدينيّة

(1) - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص15، 16.

والمعتقداتية (أخلاقية مسيحية)، وهو يتناولها وفق معطيات منطقية صورية ورياضية يقول "فليب هامون" (Philippe Hamon) بأن: (هذه النظريات البنيوية المثيرة يبدو أن هدفها كان السعي إلى تشييد لغة علمية منسجمة أكثر من الوصول إلى أنماط اشتغال العمل الأدبي)⁽¹⁾.

وهناك مسألة بقيت غامضة لدى "دوميزيل" لم يستطع إدراكها إلا أن "غريماس" قد توصل إلى التفصيل فيها، وهي أن «التماس الموضوعية في أبحاث "دوميزيل" جعله يصرح بجهله طوال حياته بعدم إدراكه للفارق الذي يفصل ويميز بين الأسطورة (Mythe)، والحكاية (Conte)، ولم يتوصل بعد إلى تبيان ذلك حتى أتى "غريماس" بالمقاييس الدقيقة التي تصنفها لتفرد كل واحدة بمميزات وخصائص فالأسطورة تنسّم بالتجسيد التصويري للعوامل في التركيب السردى تحت شكل قائمين بالفعل - شخص، بعكس الحكاية التي تفضّل أن تظهر هؤلاء على شكل موضوعات سحرية»⁽²⁾.

3-4- إ، سوريو (E, Sourieau):

واستفاد "غريماس" من تصوّر "سوريو" في دراسته للنص المسرحي إذ «بين "سوريو" الوظائف المسرحية الثابتة، ويخصص (200000) وظيفة درامية من النصوص المسرحية، ومع أنه ذاتي لا يستند إلى أحد بخصوص

(1) - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص 16.

(2) - المرجع نفسه، ص، ن.

تحليله الواقعي فهو لا يبتعد أكثر عن وصف "بروب"⁽¹⁾، ومن خلال دراسته للتصوص المسرحية فقد استخلص نموذجا عامليا يلخص التطورات والتحوّلات التي يزخر بها النصّ المسرحي⁽²⁾، مبينا ذلك وفق الأسلوب الآتي⁽³⁾:

- الأسد (Lion): القوة الموضوعية الموجهة.
- الشمس (Soleil): ممثل الخير راغبة في القيمة الموجهة.
- الأرض (Terre): تحقيق النتيجة المحتملة وهي الخير (الذي يعمل الأسد لصالحه).
- المريخ (Mars): المعارض.
- الميزان (Balance): الحكم مانح الخير.
- القمر (Lune): مساعدة إحدى القوى السابقة.

إنّ أهمية فكر "سوريو" تكمن في أنّه برهن على أنّ التّأويل العامليّ يمكن تطبيقه على نصوص مختلفة من الحكايات الشعبيّة (التصوص المسرحية) (...)، وهو تصنيف نجد التّمييزات نفسها بين القصة (Événementielle Histoire) التي لا تشكّل عنده سوى سلسلة من الذّوات

(1)- Voir, A, J, Greimas, Sémantique Structurale recherche de méthode, p: 175.

(2)- سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص45.

(3)- Voir, A, J, Greimas, Sémantique Structurale recherche de méthode, p: 175.

الدَّرَامِيَّة، وبين مستوى الوصف الدَّلالي الذي ينجز انطلاقا من "الوضعيات" القابلة للتَّفكيك في إجراء وعوامل⁽¹⁾.

وبذلك فقد أدخل "غريماس" جردين آخرين للعوامل جرد "فلاديمير بروب" المتصوّر من خلال شخصيات الحكاية الخرافيّة، وجرّد "إ.سوريو" (E.Sourieau) المتصوّر من خلال شخصيات المسرح، والمقارنة بين هذه النّماذج تبرز العاملين الجديدين: (المساعد، والمضاد أو المعارض) كالاتي⁽²⁾:

النّمودج العاملي (غريماس)	شخصيات المسرح (سوريو)	الشخصيات الخرافيّة (بروب)
- الذات	- القوّة الموضوعاتيّة الموجّهة.	- البطل
- الموضوع	- ممثّل الخير، والقيمة الموجّهة.	- الشّخص المرغوب فيه
- المرسل	- الحكم، واهب الخير	- أبو الشّخص المرغوب فيه (المنتدب)

(1) - ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص45.

(2) - ينظر: عبد القادر شرشال، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص - دراسة

الخميس 06/11/2008، 11:40 سا. <http://www.awu-dam-org/>

- المرسل إليه	- المتحصّل المفترض على قيمة	- البطل المزيّف
- المساعد	- المساعد	- الواهب
- المضاد	- المضاد	- المساعد
- المعارض		- الخائن
		- المعتدي

وإنّ اختلاف المصطلح حول تسمية أو وصف فعل الشّخصيّة عند "بروب"، و"سوريو"، و"غريماس" إلّا أنّ الهدف واحد في ضبط العوامل الجوهرية في النصّ السّردى.

3-5- ل.تنيير (L, Tesnière):

وكما استفاد "غريماس" من الوظائف عند "بروب" وتصوّر "ليفي ستروس"، و"جورج دوميزيل"، و"سوريو" فقد استفاد أيضا من "تنيير" من خلال ضبطه لمفهوم الملفوظ، «فالملفوظ عند "تنيير" فرجة دائمة: هناك فاعل وهناك فعل وهناك مفعول به، إنّ هذه الفرجة تتميز بعنصر بالغ الأهمية يكمن في توزيع الثّابت والدائم للأدوار، فقد تتغيّر المحافل التي تقوم بالفعل وقد يتنوّع الفعل كما قد يتغيّر المفعول به، لكن العنصر الضّامن لاستمرارية الملفوظ (الفرجة) هو هذا التّوزيع بالذّات»⁽¹⁾.

فالملفوظ إذن فرجة بسيطة تشتمل على دعوى وممثّلين وظروف وعندما تنتقل الدّعوى والممثّلون والظّروف من مستوى الواقع المسرحي

(1) - ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص46.

إلى مستوى التّركيبة البنيويّة تصبح على التّوالي الفعل والفواعل والفضلة بمعنى هناك فواعل ثلاثة: من يقوم بالفعل أي الفاعل في النّحو التّقليدي، من يتحمّل الفعل أو الموضوع، وأخيرا من يستفيد من الفعل أو من يضرّ به الفعل وهو من يعبر عنه بالفاعل الثّالث، أمّا الفضلة فتشير إلى الزّمان والمكان والحال⁽¹⁾.

وبذلك استثمر "غريماس" مفهوم الملفوظ، «وانطلاقا من هذه الخصائص سيعمل على تعميم هذه البنية وإعطائها نفسا يتجاوز حدود الجملة (...)» فإنّ طابع الفرجة هذا يطرح مشكلة عدد المحافل المنخرطة في الملفوظ، فإذا كانت الجملة من النّاحية التّركيبية الخالصة تتسع لأكثر من فاعل ولأكثر من فعل ولأكثر من مفعول به، فإنّ نقل هذا التّمودج إلى ميدان آخر غير اللّسانيّات يتطلّب إلحاق تعديل يمسّ طبيعة الفرجة وطبيعة الأدوار، وفي هذا المجال يقترح "غريماس" نوعين من التّعديلات:

- فمن جهة يجب تقليص العوامل التّركيبية وردّها إلى وضعها الدّلالي (...)، ومن جهة ثانية يجب تجميع كلّ الوظائف المنطويّة داخل متن ما، وإسنادها إلى عامل دلاليّ واحد، وذلك لكي يكون لكلّ عامل استثماره الدلاليّ الخاص به⁽²⁾.

(1) - ينظر: عبد القادر شرشال، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص - دراسة
<http://www.awu-dam.org/> الخميس 2008/11/06، 40:11 سا.

(2) - ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص 46.

إنّ هذه المسألة توضح القانون الذي وضعه "غريماس" حول العامل والممثل، و«بعدها يمكن القول بأنّ مجموع العوامل كيف ما كانت العلاقة التي تجمعهم يمتلئون التّجلي في كليّته وبهذا تصبح الجملة باعتبارها مسرحاً للفرجة منطلقاً لتوليد بنية تركيبية كبيرة، بنية الخطاب السّردية باعتباره يتشكّل من الجملة ويتجاوزها»⁽¹⁾، وعليه فقد استثمر "غريماس" مفهوم العوامل والملفوظ باعتبارها جملة، ومن «وجهة نظر علم التّركيب التّقليدي تعتبر الوظائف بمثابة أدوار تقوم بها الكلمات داخل الجملة تكون فيها الدّات فاعلاً، والموضوع مفعولاً، وتصبح الجملة أيضاً -وفق هذا التّصور- عبارة عن مشهد وهكذا يستخلص "غريماس" عاملين أساسيين يقوم عليهما الملفوظ البسيط يضعهما في شكل متعارض كالاتي: - الدّات ≠ الموضوع.

- المرسل ≠ المرسل إليه.

ويعمّم "غريماس" هذا الاستنتاج على كلّ عالم دلاليّ صغير فيرى أنّ: (عالمًا دلاليًا صغيرًا لا يمكن أن يحدّد كعالم أيّ ككلّ دلاليّ إلاّ بالمقدار الذي يكون في إمكانه أن يبرز أمانًا كمشهد بسيط، كبنية عامليّة»⁽²⁾).

وفي مسألة العوامل فقد استخلص "غريماس" من "تتبير" مصطلح العامل (Actant) الذي يعرّف العوامل بأنّها الشّخصيات أو الأشياء المشتركة

(1) - ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص 47.

(2) - حميد لحداني، بنية النص السردية من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط3، 2000، ص 33.

في الحدث بصفة ما وبشكل ما ولو سلبياً أما "غريماس" فيفترق بين عوامل التّواصل (فعل القول)، أي الرّأوي والمروي له، أو المتكلّم والمخاطب، وعوامل السّرد (مقول القول) أيّ الذات والموضوع، والمرسل والمرسل إليه، ويفترق داخل عوامل السّرد بين العوامل النّظميّة والعوامل الوظيفيّة، وقد انطلق "غريماس" من أعمال "تنوير" في النّحو، وبروب (Propp) في الحكاية الخرافية و"سوريو" (Sourieau) في المسرح ليحدّد العوامل في الميتولوجيا والقصة، فسعى إلى تأطيرها في مصطلحات محدّدة وإلى وضع قواعد أوليّة لها وتتقابل العوامل عنده ثنائياً: الذات تقابل الموضوع، والمرسل يقابل المرسل إليه، والمساعد يقابل المعارض⁽¹⁾، وبذلك تحدّدت لديه عناصر التّموذج العاملي.

وعلى هذا الأساس يمكن القول إنّ نظريّة "غريماس" السّيميائيّة السّردية تقوم على موارد علميّة وفكريّة مختلفة وتعدّ هذه الموارد الأساس للّهوض بالنّظرية السّيميائيّة، فالرّافد الفلسفي من أفكار تجريديّة ذهنيّة، والتّصور الأفلاطوني والأرسطي المقعد للتّموذج التّكويني (المرجع السّيميائي) "غريماس" وغيرها من التّيارات الفلسفيّة، والرّافد اللّساني من تصوّر "سويسر" و"هيلمسليف"، و"تشومسكي"، و"رومان جاكبسون"، حول نظريّة التّواصل الذي يعتبر الرّافد الذي انطلقت منه النّظرية نظراً لوجود التّداخل بين البنيويّة والسّيميائيّة ثمّ الرّافد المعرفي الذي كشف لنا عن الجانب السّردية وكيفية القبض على روح النّص، ومدى اختلاف الدّارسين في البحث عن فعل أو وظيفة الشّخصيّة من "بروب"، و"سوريو"، و"تنوير"، وغيرهم، ومدى اهتمام هؤلاء

(1) - ينظر: لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص 123.

بدراسة العمل السردى ومحاولة تفعيده، فكانت هذه الروافد المرجعية المحددة لنظرية "غريماس" السيميائية السردية.

ثانيا: نحو تحديد مفاهيم السيميائية السردية:

إنّ التحليل السردى للخطابات هو بدون منازع الحقل السيميائي الذي عرف أثناء السنين الأخيرة التطورات الأكثر أهمية⁽¹⁾، حيث يهتمّ الدرس السيميائي أساسا بشكل الدلالة أو بشكل "الحكاية" في الخطاب السردى تلك التي تتعلّق بعملية القول السردية (Enonciation narrative) حيث تتجاوز تحقيق الجملة بصفقتها وحدة دنيا في الدرس اللساني إلى تحقيق الخطاب بصفته كلية دالة⁽²⁾، بمعنى أنّ السيميائية تُعنى بنظرية الدلالة وإجراءات التحليل التي تساعد على وصف أنظمة الدلالة (...) ولكن إذا كانت السيميائية تهتمّ بالدلالة فإنّها لا تولي عناية بالدليل ولا تنظر في العلاقة الممتدة من الدال إلى المدلول (...) بل تسعى السيميائية في ارتكازها على هذا التمييز الأساسي إلى إبراز شكل المضمون يعني تنظيم المدلول⁽³⁾.

(1) - ينظر: جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية، تر: جمال حضري، الدار

العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2007، ص 15.

(2) - عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية - التركيب

الدلالة)، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، دط، دم، 2002، ص 44.

(3) - ميشال آريفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك، منشورات

الاختلاف، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002، ص 105، 106.

وإذا قلنا أنّ السيميائية تدرس النصّ الأدبيّ باعتباره علامة
فذلك لأنّها تنظر إلى الأبنية العامّة للنصوص الأدبيّة باعتبارها نسقا
من العلامات منغلقة على نفسه، ولا يشير إلى شيء خارجه سواء
كان هو الواقع الاجتماعي أو الوجود الإنساني، فنظرت السيميائية إلى النصّ
الأدبيّ بهذه الطريفة مردّها إلى أنّها لا تفصل بين الظاهرة التجريبيّة الواحدة
والمحيط العام الذي تظهر فيه، بل تفترض شبكة من الأنساق المتداخلة، تضع
هذه الظواهر في وحدة كبرى تتألف من كليّة الأنساق المختلفة فتتداخل
وتتعارض وتتقاطع (...) في بعض المواضع وتتباعدها في بعض المواضع
الأخرى⁽¹⁾.

والسيميائية تستهدف استقراء آليات إنتاج الدلالة وإبراز كميّات اشتغالها
في مختلف الأنشطة الثقافيّة وحتىّ من خلال السلوك الطّبيعي للمجموعات
البشريّة كنظم الأكل واللباس والتّحيّة والحركات الجسديّة، أو ما يعرف
بـ: (Kinésique)، وكميّات استغلال الفضاء، أو ما يعرف
بـ: (Praxémique)⁽²⁾. إنّ ما يهتمّ السيميائية في المقام الأوّل استنتاج الدلالة
أو بالأحرى الأصداء الدلاليّة (Effet de sens) (على التّقيض من التّوجه
التقليدي في حرصه على ما يسميه "بارت" المعنى الممتلئ) في النّظم الدّالة
من أيّ نوع كانت وكيفما أنتجت، وبذلك يبدو أنّ المشروع السيميائي يرقى

(1) - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص60.

(2) - محمد الناصر العجمي، موقع السيميائيات من مناهج البحث الغربي الحديث، مجلة
السيميائيات وتحليل الخطاب، 2، وهران، الجزائر، 2006، ص24.

إلى المشروع الفيلولوجي الذي كان يرمي في القرن التاسع عشر إلى إرساء علم عام للثقافة بمختلف وجوهها⁽¹⁾.

إنّ ما تطمح إليه السيميائية حسب "غريماس" هو البحث عن سبيل لدراسة الخطاب عموماً بحيث تنطبق قوانين هذه الدراسة، وينطبق منهجها على نصوص القانون والفلسفة تماماً مثلما تنطبق على النصوص الأدبية المختلفة، ويرى "غريماس" أنّ ما يولّد أشكالاً جديدة من المضامين، والتعبير مختلفة تختلف باختلاف الأداء على مستوى الإشارة، إنّما هو العلاقات التحويلية لذلك لا بدّ من السردية أو الحكائية، وما أعطته من نتائج أولية أحدثت ما يشبه الزلزال على مستوى الأدب المكتوب الرّاقى (...). بل وأنتجت دلالات إيدولوجية ومفاهيم عميقة⁽²⁾.

ويقوم التحليل السيميائي في دراسته للنص الأدبي بعملية التفكيك والتركيب التي تشبه تفكيك أعضاء الدمية وتركيبها على غرار البنيوية النصية المغلقة التي تلغي كلّ الحثيات السياقية والخارجية، ولتحليل النص السردية «يمكن الانطلاق من مفهوم القدرة (Compétence). الذي يمكن التمييز بخصوصه بين مفهومين في السيميائية السردية عند غريماس هما: القدرة السيميائية السردية (Compétence Sémio-Narrative) والقدرة الخطابية (Discursive Compétence) بالنسبة للقدرة السيميائية السردية تجعلها

(1) - محمد الناصر العجمي، موقع السيميائيات من مناهج البحث الغربي الحديث، مجلة السيميائيات وتحليل الخطاب، ص 25.

(2) - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 165.

سيميائية السرد سابقة على القدرة الخطابية وهي مكونة من مجموعة التّفصّلات التّصنيفيّة والتّركيبية (المستوى العميق والمستوى التّركيبي العاملي) أمّا القدرة الخطابية فتحدّد في مرحلة لاحقة بعد القدرة السيميائية السردية وترتبط بعملية القول. أمّا وظيفتها فتكمن في تشكيل البنيات الخطابية وتنظيمها لإعطاء تمثيل خطابي لمكونات البنيات السيميائية السردية... (1).

إنّ الحديث عن نظرية "غريماس" السيميائية يقودنا إلى الكشف عن التّحول المعرفي داخلها باعتبار ذلك خطوة إجرائية مناسبة للوقوف على مفاهيم الجهاز المعرفي للنظرية السيميائية، ومنه فإنّ البحث في المفاهيم التي شكّلت أساس البناء النظري للسيميائية (مرحلة المكاسب) يقترح الانفتاح على (مرحلة المشاريع) والتأسيس النظري لإشكالات جديدة (سيميائية الأهواء) (2).

ومنه سنحاول في هذه المحطّة رصد التّحوّلات المعرفية لنظرية "غريماس" السيميائية، والكشف عن المفاهيم بالانتقال من سيميائية العمل مرحلة المكاسب إلى مرحلة المشاريع وسيميائية الأهواء، «ومنه نلاحظ تمفصل مسار النظرية السيميائية إلى مرحلتين أساسيتين: مرحلة المكاسب ومرحلة المشاريع، تتمثّل الأولى في الإرث الغريماسي انطلاقاً من مجمل أعماله التّنظيرية التي تخصّ تشييد أنظمة الدلالة، أمّا الثانية فتنتقل متغيّرات بناء مسار

(1) - عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ص 26.

(2) - ينظر: محمد بادي، سيميائية مدرسة باريس المكاسب والمشاريع، (مقاربة ابستمولوجية)، مجلة عالم الفكر، السيميائيات، الكويت، ع3، المجلد35، 2007 ص287.

الدّالة وفق تصوّر يقوم على تطوّر النّظر في الخلفيّات المعرفيّة التي تستند إليها النّظرية السّيميائيّة (...) ومنه ينطلق مشروع القطار السّيميائي من محطة مساءلة الأسس المعرفيّة للنّظرية ليصل بعد ذلك إلى فضاء بلورة مشروع التّأسيس النّظري لبعض المواضيع كالتلفظ، والأهواء، والتوتريّة، بيد أنّ ذلك لن يتمّ إلا باحترام شروط التّصور الابيستمولوجي الذي يبنّي على مبدأ الاتصال في صيرورة النّظرية السّيميائيّة»⁽¹⁾.

فالانتقال من سيميائيّة العمل نحو سيميائيّة الأهواء في نظريّة "غريماس" السّيميائيّة لا يعني القطيعة، بل تقوم سيميائيّة الأهواء على البناء النّظري لسيميائيّة العمل، إذ تعدّ المرحلة الثّانية من تطوّر النّظرية السّيميائيّة «فمشروع سيميائيّة الأهواء يتجلّى أكثر ما يتجلّى في إعادة التّأسيس لبنى الأسس العميقة لجملة من المفاهيم حتّى تتسجم مع المسلّمات التي تنطلق منها (...)»، وتحدّد تفصلات تطوّر النّظرية السّيميائيّة في السّنوات الأخيرة من خلال عدّة محاور يمكن تسطيرها على الشّكل الآتي⁽²⁾:

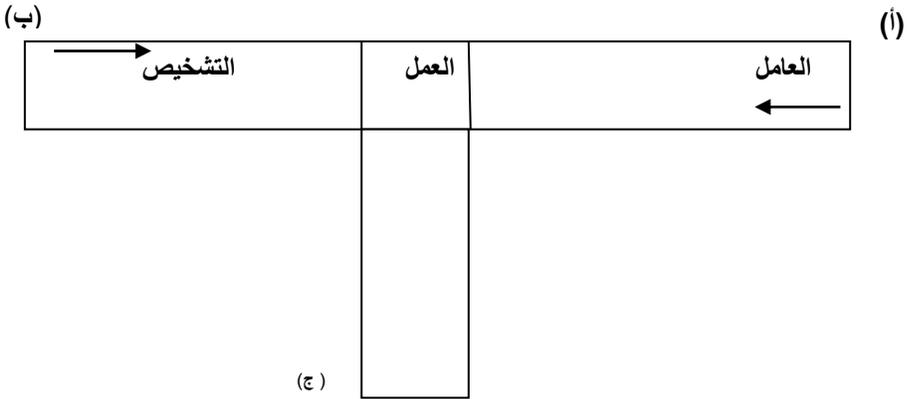
- 1- تنقيح الجهاز المعرفي للنّظرية السّيميائيّة الأساس.
- 2- الصّوغ الرّياضي للمفاهيم السّيميائيّة (مشروع روني توم R.Thom).
- 3- الاهتمام بالبنى التوتريّة (مشروع زيلبرج 1998، Zilberberg).

(1) - محمد بادي، سيميائية مدرسة باريس المكاسب والمشاريع، (مقاربة ابستيمولوجية) ص 288.

(2) - المرجع نفسه، ص 289.

وبذلك فإنَّ النّظريّة السّيميائيّة تنتقل عبر تحوّل ابيستمولوجي من مرحلة المكاسب سيميائيّة العمل نحو مرحلة المشاريع سيميائيّة الأهواء، وعليه سنقف على هاتين المرحلتين كونهما عماد نظريّة "غريماس".

1- مرحلة المكاسب (سيميائيّة العمل): توجد على وجه الإجمال ثلاث نظريّات تعالج العمل من زوايا مختلفة ومتباينة، تتكبّب الأولى على بيان علاقة العامل بعمله، وتحدّد الثّانيّة العلاقة الموجودة بين العمل والعالم، وتهتمّ الثّالثة بإمكانات وصف وتشخيص العمل، ويمكن أن تشخص هذه النّظريّات في التّرسّيمة الآتية⁽¹⁾:



يحدّد الشّكل: (خطاطة المنظورات الثّلاث للعمل).

(1) - محمد الداوي، سيميائية العمل تطبيقاتها وتقاطعاتها، مجلة السيميائيات وتحليل الخطاب، جامعة وهران، الجزائر، منشورات الأديب، 2ع، 2006، ص 61.

إنّ ما يهّمنا في هذه المسألة هو الغوص في العمل من منظور النّظريّة السّيميائية حيث «تندرج سيميائية مدرسة باريس في مرحلة السّتينيات عامّة داخل التّيّار الشّكلاني البنيوي للسّانيات (سوسير/ هيلمسايف) إذ انطلاقاً من كتاب علم (الدّلالة البنيوي)، رسم "غريماس" بالذّكر معالم التّصوّر الابيستمولوجي الذي تتأطّر ضمنه نظريّته»⁽¹⁾، التي تقوم على روافد هامّة قد تطرّقنا إليها في هذا الفصل من هذه الدّراسة والتي تحدّد الإطار الابيستمولوجي والمعرفيّ للنّظريّة الغريماسيّة، ومنه «مرحلة السّتينيات هيّ مرحلة المكاسب التي شكّل (علم الدّلالة البنيوي) أساسها النّظري والابيستمولوجي (...). وقد اضطلع عمل "غريماس" (1970) (في المعنى) والجزء الأوّل من المعجم السّيميائي (1979) عبر تطويرها لمجموعة من المفاهيم الإجرائيّة، وفي هذا الإطار تصدر هذه الأعمال من مجالين ابيستمولوجيين رئيسيين كما يرى "باريت" (1998) يخصّص الأوّل مفهوم المعنى، والثّاني مسار التّوليد، فالمعنى ليس مستقرّاً بل سيرورة إذ يظهر عبر مستوى تحولاته الخاصّة لذا يتبدّى المعنى كمسار توليدي حيث يجب التّمييز بين مستويات العمق وقد تمّ تشكيل هذين الاقتراحين الابيستمولوجيين من مفهوم معيّن للسّيميائية أيّ (كعلم للمعنى)»⁽²⁾.

(1) - محمد بادي، سيميائية مدرسة باريس المكاسب والمشاريع (مقاربة ابستيمولوجية) ص 290.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص 291.

وعلى ذكر مستويات العمق في المسار التوليدي «فإنّ المهمّ في التّحليل السّيميائي (ليس الوصول إلى المعنى الحقيقي الذي يكشف عنه النّص بل الكيفية التي قال بها النّص ما قاله، وذلك يتطلب منّا مراعاة مستويين في النّص، المستوى السّطحي، والمستوى العميق»⁽¹⁾، وقد وضّحت جماعة أنتروفرن هذين المستويين كآلآتي⁽²⁾:

- **المستوى السّطحي**: والذي يستهلّ بتوقع مركبتين تعقد منطقيًا للمفوضات سهلة ملائمة، وفي المستوى:

1- المركبة السّردية: وهي قاعدة نحو سلسلة متواليّة وتحليل الحالات والتّحوّلات.

2- المركبة الخطابيّة: وهي قاعدة في النّص كتسلسل صوّر وإنتاج سيم.

- **المستوى العميق**: ويضمّ ملائمة مخطّطين منطقيّين من خلال تنظيم الكلمات المتمظهرة، وفي المستوى:

1- تثبيت علاقة لإتمام القيم في المعنى.

2- نظام منطقي للعمل وآخر لحيز القيم.

(1)- ينظر، فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 67.

(2)- Voir, Group d'entrevernes, Analyse S'emiotique des texts presses universitaires de Lyon Imprimé en France, 1979, P: 09.

إنَّ النَّظْرِيَّةَ السِّمِّيَّائِيَّةَ فِي سِمْيَايَّةِ الْعَمَلِ تَقُومُ عَلَى دَرَاةِ النَّصِّ انْطِلاقًا مِنْ وَجُودِ مَسْتَوِيَيْنِ هِما: (المَسْتَوَى السَّطْحِي، وَالمَسْتَوَى الْعَمِيقُ) أَوْ «تَتَبَنِي عَلَى تَقْدِيمِ مَحْوَرِ مَوْضَحِ الْبِنِيَّةِ السَّطْحِيَّةِ وَالبِنِيَّةِ الْعَمِيقَةِ الْمَنْظَمِ لَوْضَعِيَّةِ التَّقْنِيَّاتِ أَوْ الْأَدْوَاتِ⁽¹⁾ أَوْ إِجْرَاءاتِ التَّحْلِيلِ، وَهنا نَطْرَحُ التَّسْأُولَ كَيْفَ يَمْكُنُ أَنْ نَحْلُلَ النَّصَّ؟» تَذْهَبُ السِّمِّيَّائِيَّةُ فِي اقْتِرَاحِها إِلى أَنَّ الْمَضْمُونِ الشَّامِلِ لِلنَّصِّ يَمْكُنُ أَنْ يَنْتَظِمَ وَيُوصَفُ عَلَى أَساسِ ثَلَاثَةِ مَسْتَوِيَّاتٍ مَخْتَلَفَةٍ هِيَ: (المَسْتَوَى السِّمِّيَّائِي أَوْ الْمَنْطَقِي الدَّلَالِي، وَالمَسْتَوَى السَّرْدِي، وَالمَسْتَوَى الْخِطَابِي)⁽²⁾.

وَلتَحْلِيلِ النَّصِّ هِناكَ مَسارانَ لِلتَّحْلِيلِ السِّمِّيَّائِي الْأَوَّلُ: الْمَسارُ التَّوَلِيدِي: وَهُوَ نَظْرِي خالِصٌ إِذْ يَتَوَقَّعُ الْانْتِقَالَ مِنْ الْمَسْتَوَى الْمَنْطَقِي الدَّلَالِي أَيْنَ تَتَمَفَّصِلُ "الْقِيَمَةُ الْأَوَّلِيَّةُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى نَحْوِ تَجْرِيدِي خالِصٌ إِلى الْمَسْتَوَى السَّرْدِي (حَيْثُ تَتَقَدَّمُ هَذِهِ الْعِناصِرُ الدَّلَالِيَّةُ كـ "عِواْمِلُ" مَنْطَوِيَّةٌ تَحْتِ الْبِراْمِجِ السَّرْدِيَّةِ، وَالمَسْتَوَى الْخِطَابِي أَيْنَ تَتَقَدَّمُ هَذِهِ الْعِواْمِلُ كـ "مَمْتَلِّينُ" فِي وَضَعِيَّاتِ فِضاِيَّةٍ وَزِمانِيَّةٍ)⁽³⁾ وَالثَّانِي: الْمَسارُ التَّحْلِيلِي: هَذَا ما يَقومُ بِهِ الْمَحَلُّ السِّمِّيَّائِي إِذْ يَنْطَلِقُ مِنَ الْمَسْتَوَى الْخِطَابِي أَيْنَ يَدْرِكُ الْمَمْتَلُونُ الْفِضاِاتِ وَالْأَزْمِنَةَ وَبِشْكَلِ

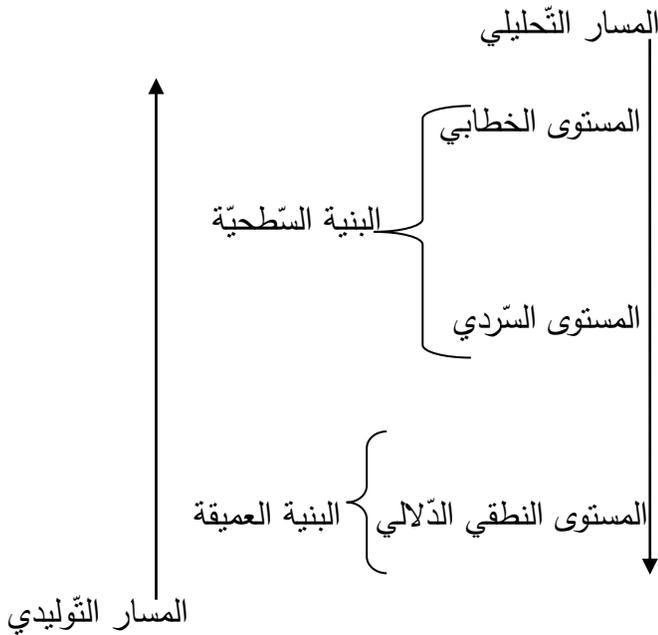
(1)–Voir, Aswald ducort/ TZ Vetan Todorov, Dictionnaire en cyclopédique des sciences du langage, © éditions Du Seuil, 1972 p302.

(2)– ينظر: ميشال آرفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك ص 108.

(3)– المرجع نفسه، ص 109.

مختصر التّظيم الصوري للمضمون إلى المستوى السّردى حيث تعمل العناصر الصوريّة المترتّبة في النّص على تجلّية الرّهانات والمسارات السّردية لتمتدّ إلى المستوى المنطقي الدّلالي حيث تشمل هذه الرّهانات التّمفصل الأساسي لمضمون النّص⁽¹⁾.

بمعنى أنّ المحلّل السّيميائي يمكنه تفكيك ودراسة النّص بتتبّع أحد المسارين المسار التّوليدي الذي ينطلق من البنية العميقة نحو البنية السّطحية أو بتتبّع المسار التّحليلي الذي ينطلق من البنية السّطحية نحو البنية العميقة ويمكن تجسيد هذين المسارين كآلاتي⁽²⁾:



(1) - ينظر: ميشال آريفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك ص 109.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

وهذه المستويات تعد البناء النظري المعرفي لسيميائية العمل في نظرية "غريماس"، ولعلّ كلّ مستوى من هذه المستويات يقوم على جملة من المفاهيم والأدوات التي تساهم في تحليل النّص بنتبع أحد المسارين، وفي تحديد البناء المفاهيمي للنّظرية، يجدر بنا الوقوف على المسار التحليلي كونه المناسب في تحليل النّص، إذ يساعد المحلّ السيميائي بالكشف عن حيثيات النّص انطلاقاً من البنية السطحية نحو رصد البنية العميقة، وعليه سنتتبع هذا التسلسل المعرفي في ضبط مفاهيم النظرية السيميائية.

1-1- المركبة الخطابية:

يعدّ المستوى الخطابي أو ما يطلق عليه (المكوّن الخطابي) نقطة انطلاق المحلّ السيميائي في المسار التحليلي، إذ ينطلق في دراسته للنّص من البنية السطحية إلى البنية العميقة، ويقوم المستوى الخطابي على جملة من المفاهيم الإجرائية التي تساعد المحلّ السيميائي على بسط النّص إذ «يقدم مضمون النّص كما لو أنّه صورة منظّمة ومرتبّة وفق مسارات صورية يحدّد فيها التّفصل الخصوصي للقيم الموضوعاتية»⁽¹⁾ وهذه المفاهيم هي: (الصّور والمسارات الصورية، والدور الموضوعاتي (التيماطيكي)، والممثل، وثنائية التّفصية والتّزمين)، ويمكن بسط هذه المفاهيم أو الأدوات الإجرائية كالاتي:

(1) - ينظر: ميشال آريفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك

1-1-1- الصّور (les figures): نسمي الصّور تلك الوحدات في الحكاية التي تتوالى في الوصف نوعا ما وتكتسي الأدوار العامليّة والوظائف التي تشغلها في النّص⁽¹⁾ وتخصّ الصّورة التّمثيل في شكل مرئي محسوس لصيرورة الأفعال المحدثة في المحكي، وهكذا يتّضح أنّ عملية تصوّر تلك الأفعال متعلّقة بالمسار السّردي في شموليّته يسعى الاثنان لتكثيف النّص بمزايا دلاليّة لها عميق الأثر في تحليل أبعاده ورصد معالمه (...)، وتأخذ الصّورة مفاهيم وتصورات يوردها المعجم على شكل مفردات لغويّة للتعبير عن رؤية مشتركة تجسّد النّواة المركزيّة التي تحوم حولها تلك المفاهيم⁽²⁾.

فالصّورة هي هذه العناصر القاعدية التي يتشكّل على أساسها كلّ ما نعرفه من نصوص، وتقترح إجراءات التّحليل شبكة أولى لتعيين وترتيب الصّور في ثلاثة أقطاب هي: (الممثّلين، والأزمنة، والأمكنة)، ينطوي تحت كلّ نص ممثلون ضمن زمن (أزمنة)، ومكان (أمكنة) إنّ هذا التّنظيم هو الذي يساعد على تفريد الوضعيات الخطابيّة في النّص، وليس الهدف من هذا هو وضع قائمة من العناصر بل إنّه يكمن في وصف العلاقات (الاختلافات، والمقابلات، والتّمثلات) القائمة بين هذه الصّور المتّسمة بتنظيم خصوصي⁽³⁾.

(1) – Voir, Groupe d'entrevernes, Analyses Sémiotique des Textes p: 89.

(2) – نادية بوشفرة، مباحث في السيميائيات السردية، ص 80.

(3) – المرجع نفسه، ص 81.

«الوحدة المعجمية التي تأخذ أكثر من مدلول وتتشرك مع وحدات معجمية أخرى في صور جوهريّة تعطيها صفة التّوحدّ المتمثّلة في (الحيويّة واحتلال الوضع المركزي) يسميها "غريماس" الصّورة النواتية (Sème Nucléaire) ، وهي أساس المكوّن الخطابى إذ يعرفها قائلاً إنّها الصّورة الأساسيّة (...) تحقّق مسارات معانيمية سيميائية (Parcours Sémémique) في سياق الخطاب...»⁽¹⁾، فالصّورة هي الوحدة المعجمية التي تتلاحم مع غيرها من الصّور لتشكل المسار الصّوري ويتلاحم المسارات الصّورية يتشكل الدّور التيماتىكي للممتلّ.

1-1-2- المسارات الصورية والتجمعات الخطابية: (Les parcours figuratifs et les configurations discursives)

تتوزّع الصّور في ترتيبها إلى مسارات صورية⁽²⁾، «ونعني بالمسار الصّوري هو ذلك التسلسل في الصّور المنظّمة إلى بعضها في تلاحم شديد يحيل على بعضها الآخر، فالإخوة، والأخوات، والأجداد، والأعمام، والأخوال تؤلّف في مجملها مسارا صورياً بعنوان: "علاقة القرابة"⁽³⁾، ويحيل مفهوم الصّورة عند "غريماس" إلى عنصرين ينتميان إلى الدّلالة الخطابية بصفته أحد

(1) - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائيات السردية، ص 81.

(2) - ميشال آريفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك، ص 111.

(3) - ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص 82.

مستويات المسار التوليدي للنظرية السيميائية وهما: (التصويري، والتيماتكي)⁽¹⁾ أو الموضوعاتي، وإذا أردنا ضبط العلاقة بين هذين العنصرين فإنهما «متضادان ومتكاملان في الوقت نفسه، فيأخذ سمة العالم الخارجي المدرك من الحواس، ويختص الموضوعاتي بالعالم الداخلي أو الأبنية النفسية بالمعنى الدقيق مع لعبة المقولات المفاهيمية التي تكونها، إن هذين المكونين الدلاليين يغذيان فيما بينهما علاقات متبادلة»⁽²⁾.

- **المسار التصويري:** يتحدّد المسار التصويري بصفته تسلسلا متشاكلا من الصوّر يكون ملازما لتيمة معينة، ويكون هذا التسلسل قائما على الترابط بين الوحدات التي تؤطر ضمن فضاء دلالي متشاكل⁽³⁾، وللمسار التصويري «ضربين من ضروب نظام الصوّر الأوّل يسميه "غريماس" ب: المسار الصوري ويعرفه بأنه مجموعة صور متلاحمة يشدّ بعضها بعضا ويحيل بعضها على بعض، فالسيارة، والقطار، والحافلة، والطائرة تؤلّف مسارا صوريا يحمل عنوان "وسائل النقل"»⁽⁴⁾ أمّا الضرب الثاني من نظام الصوّر فيسميه "غريماس"

(1) - عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية - التركيب الدلالة)، ص 170.

(2) - أحمد منور، العلاقة بين التصويري والموضوعاتي من الفصل الثالث من كتاب التحليل السيميائي للخطاب لجوزيف كورتيس، مجلة بحوث سيميائية، مخبر العادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر، الجزائر، طبع دار هومة، ع2، 2006، ص 137.

(3) - عبد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي نظرية غريماس، الدار العربية للكتاب تونس، دط، 1993، ص 79.

(4) - المرجع نفسه، ص 80.

التّجمع الصّوري⁽¹⁾، أو التّصويريّة التي تتحدّد من خلال اشتغال الوحدات أو الصّور اللكسيمية التي تتسلسل من منظور قسري ويؤدّي هذا التّسلسل إلى كوكبيّة لها تنظيمها الخاص إنّ (صورة) مثل: "الشمس" حينما تظهر يمكن أن تنظّم حولها حقلا تصويريّاً من الصّور: (شعاع، ضوء، شفافية، وضوح...) فالصّور تتمظهر أولاً داخل الأقوال غير أنّها تخترق هذا الإطار لتؤسّس شبكة تصويريّة في المسارات الصوريّة لتغطي مقاطع على مستوى الخطاب، ولتكون تصويريّة خطابية، فالنّصويريّة الخطابية "الشمس" تتكوّن من الصّور والمسارات الصوريّة، لذلك فهي أعمّ من المسار التّصويري⁽²⁾.

ومنه فإنّنا لا نجد مساراً صورياً واحداً في النّص بل تتعدّد المسارات الصوريّة لتجتمع في نقاط وأوجه مشتركة بينها ترد في شكل تمظهر خطابي (configuration discursive)⁽³⁾. «إنّ تصوّر التّمظهر الخطابي يسمح بإعادة طريقة عرض الوحدات على نحو التّساكُل»⁽⁴⁾ أو التّمائل فالصّور اللكسيمية تتمظهر مبدئيّاً في إطار الملفوظات، إنّها تتجاوز بسهولة هذا الإطار وترسم شبكة تصويريّة علائقيّة تنشر فوق متواليات كاملة مكوّنة

(1) - عبد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس، ص 80.

(2) - ينظر: عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية التركيب - الدلالة)، ص 172، 173.

(3) - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص 83.

(4) - Voir, Algirdas Julien Greimas, Du Sens II Essais Sémiotiques E'ditions du Seuil imprime en France, Paris, 198, p: 62.

فيها (تشكيلات خطابية)⁽¹⁾ ويمكن الإشارة إلى أنّ المسارات الصورية محققة ظاهرة للعيان، بينما التّمظهرات الخطابية فهي بعكس ذلك مجردة نكتشفها من خلال تجسيدنا إياها بمقاربة الفكرة العامة المقولية للخطاب، والتي تعدّ الهيكل الأساس له، حتّى يتسنى لنا الإمساك بالشكل المنظم للمحتوى⁽²⁾ وإذا كنّا قد تعرّفنا على الصّور والمسارات الصورية، فإنّ هذه الأخيرة كفيلة بقيادتنا إلى وصف قيمتها الموضوعاتية⁽³⁾.

- **الدور التّيماتكي:** إنّ المكوّن التّصويري يستدعي المكوّن التّيماتكي الذي يتعالق به، وهذا الأخير (يتميّز بأنّه استثمار دلاليّ مجرد ذو طبيعة مفهومية، وليست له أية علاقة ضرورية مع فضاء العالم الطّبيعي)⁽⁴⁾ فالتّيماتكي يتميّز بالتّجريد فيتحدّد من خلال هذا النّص باعتباره استثمارا دلاليّا مجردًا بخلاف التّصويري القائم على الصّور.

(1) - ينظر: جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص145.

(2) - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص 83، 84.

(3) - ينظر: ميشال آرفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك ص112.

(4) - عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي في الخطاب الروائي (البنيات الخطابية التركيب - الدلالة)، ص173.

وهذا يعني أن التيماتكي يعتمد على التيمات* التي تتبني من خلال المسار التصويري⁽¹⁾، ويتحدّد الدّور التيماتكي بتكثيف مزدوج: - يقوم الأوّل على تكثيف التّصويريّة إلى مسار تصويري، فتصويريّة "الرسالة" مثلا يمكن أن تكثّف إلى مسار تصويري واحد من بين المسارات التي تكونها كالمسار التّصويري الأوّل المكوّن من الصّور المتعاقبة (كتب/ أعلق/ أرسل). أمّا الإجراء الثّاني فيتمثّل في تكثيف المسار التّصويري إلى تيمة، ينبثق منها الدّور التيماتكي⁽²⁾، فالتيمة تحيل إلى اسم يكون فاعلا بمعنى أنّه يحيل إلى دور شبه تركيبّي هو الدّور التيماتكي إنّ الصّياد يحمل في ذاته بدهاء كلّ إمكانيات فعله، إنّ إدراجه ضمن تشاكل خطابي يجعل منه دورا تيماتكيّا مستعملا من طرف المحكي، فتيمة (الصّيد) مثلا التي تنتج عن مسار تصويري يمكن أن تكثّف إلى دور تيماتكي هو: الصّياد، ويتحدّد الدّور التيماتكي كدور يسنن الممارسات السوسيو ثقافيّة⁽³⁾.

* تيمات: (م) تيمة: التي تعرف عند أرسطو بأنها الفكرة التي هي موضع الاهتمام الأوّل للمقالات والقصائد الغنائية، وهي المكون الأساسي الأوّل للجملة أو النص، مثل: تيمة الحزن، أو الفرح، ينظر: عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 2002، ص 490.

(1) - عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية - التركيب الدلالة)، ص 174.

(2) - المرجع نفسه، ص 175.

(3) - المرجع نفسه، ص ن.

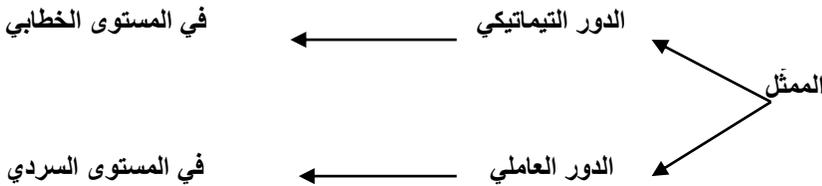
1-1-3 الموضوع والدور الموضوعاتي (التيماتيك): thème et rôle

(thématique): إنّ ضبط العلاقة بين الصّورة والموضوع يقف على ثلاث حالات: «حيث قد يكتسي الموضوع الواحد أساليب مختلفة للتعبير عن صور شتى كأنّ يكون موضوع "الإثارة" على سبيل المثال يحيل على الصّورة الآتية: (إثارة الضحك، وإثارة الشكوك، وإثارة الحماس، وإثارة الحرب، وإثارة النزوات وإثارة الجدل، وإثارة النزاع)»⁽¹⁾، كما أنّ الصّورة الواحدة قد تؤدي إلى موضوعات متعدّدة تختلف باختلاف المعتقدات والتأويلات، فصورة "السحر" مثلاً قد يعتبرها أهل العلم مجرد "شعوذة" لا غير، وعند بعض البسطاء والسذج هي موضوع علاج من الأمراض التي يعجز الأطباء عن استئصالها بالأدوية، وعند أهل الدّين والأئمّة المسلمين كفر وشرك بالله عزّ وجلّ هذا وقد نجد صورة واحدة تعبّر عن موضوع واحد كما هو الحال في صورة الحمامة البيضاء التي ترمز إلى موضوع السّلام، ويمكن توضيح هذه الحالات الثلاث كالآتي⁽²⁾:

(1) - ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص84.

(2) - المرجع نفسه، ص85.

إنّ للاتّصال بين المستويين: (السّردِي، والخطابي) وظيفة هيّ الاستثمار الدّلالي للأشكال النّحوية المعيارية للسّرد ويسمح بتقديم الإرساليّات السّردية⁽¹⁾، ففي المستوى السّردِي نجد الفعل أو الوظيفة وفي المستوى الخطابي نجد المواصفة أو التّيمة، ومنه «فالوظيفة والمواصفة مرتبطان ارتباطاً وثيقاً حيث يتمّ الانتقال من الوظيفة كفعل متحقّق إلى المواصفة كفعل محتمل، ومن المواصفة إلى الوظيفة كانتقال من الاحتمال إلى التّحقّق»⁽²⁾، ومنه فإنّ الممثّل سيكون هو عنصر الرّبط بين الوظيفة والمواصفة بين الدّور العاملي كوضعية في البرنامج السّردِي للمستوى السّردِي والدّور التّيماتِيكي الذي يشمل المسارات الصوريّة في المستوى الخطابي، ويمكن توضيح ذلك كالآتي:



(1) - عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنىات الخطابية - التركيب الدلالة)، ص 175.

(2) - سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصيات السردية (رواية "الشراع والعاصفة"، لحنا مينة نموذجاً)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2003، ص 79.

فالدور الموضوعاتي (التيماتيكّي) يرسم المقولة السّوسيو - ثقافيّة من موضع الممثل⁽¹⁾.

1-1-4- الممثل (القائم بالفعل) (Acteur):

إنّ استخراج الأدوار الموضوعاتيّة من شأنه أنّ يعرف بالوظائف التي تتمييز بالأفعال المنسوبة إلى الشّخص، ذلك لأنّ وظيفة الفعل لا يمكن أن تتحدّد إلّا من خلال ارتباطها بهيئة أحد الشّخص أو بمبادرة صادرة منه تثبت بجملة من الصّفات ذات الكثافة الدلاليّة⁽²⁾ فنستخلص الوظيفة أو الفعل من خلال دور الشّخصيّة أو الممثل بالمفهوم السيميائي.

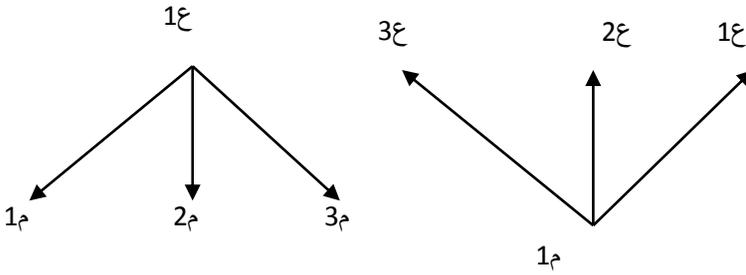
ومنه يعتبر الممثل مكونا من مكوّنات المستوى الخطابي ويحدّده "غريماس" بقوله: «(إذا كان العامل يتمييز بطبيعته التّركيبية فإنّ مفهوم الممثل يبدو منذ الوهلة الأولى على الأقل غير مرتبط بالتّركيب، ولكن بالدلالة) (...). فالممثل يرتبط بالدلالة وقد حدّدت السيميائيّة السردية جملة من المقومات التي تخصّص المحتوى الدلالي للممثل»⁽³⁾، ومنه فإذا كان العامل (dactant) متعلّق بالتّركيب فإنّ الممثل (un acteur) غير متعلّق بالتّركيب

(1)- Voir, Yves Reuter, Introduction à L'analyse du roman, édition Nathan /Her, Paris, 2000, p: 52.

(2)- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص 85.

(3)- عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنىات الخطابية - التّركيب الدلالة)، ص 165.

وإنّما بالوظيفة⁽¹⁾، ولا يختلف مفهوم الممثل عند "غريماس" عن مفهوم الشخصية الحكائيّة، في حين يبقى مفهوم العامل أكثر تجريديّة وشموليّة من هذين⁽²⁾، ويضع "غريماس" "العامل" مقابل "القائم بالفعل"، ليفرّق بينهما إذ أنّ العامل الواحد قد يتجسّد في أكثر من قائم بالفعل (...)، وكما يجوز أن يكون القائم بالفعل واحداً، مجسّداً لأدوار متعدّدة⁽³⁾. وفي هذه المسألة يشير "غريماس" إلى العلاقة بين الممثل والعامل باعتبارها قانوناً تتمثّل في حالتين:



إنّ العامل (1ع) يتمظهر في الخطاب عبر الممثلين (1م، 2م، 3م) والعكس ممكن في حالة (1م) يتفرّع إلى عوامل كثيرة (1ع، 2ع، 3ع)⁽⁴⁾ وإذا كان العامل (1ع) يشكّل نواة لاستقطاب الممثلين، فإنّ الممثل (1م) يمثّل نواة لتوزيع العوامل، والحالتان تتمظهران بتحديد البرنامج السردّي.

(1) - عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنى الخطابية - التركيب الدلالة)، ص 165

(2) - حميد لحداني، بنية النص السردّي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب/بيروت، لبنان، ط3، 2000، ص 98.

(3) - ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص 86.

(4) - voir, Algirdas Julien Greimas, du Sens II, p:49.

وهكذا يمكن للتّمظهر الممثلي أن يحصل على توسيع أقصى يتميّز بحضور ممثل مستقل لكلّ عامل أو دور عاملي (القناع على الوجه) مثلا هو ممثل له كيفية "الظهور" كدور عاملي، فنقول بأنّ البنية الممثليّة هي في هذه الحالة موضوعة كما يمكن للتوزيع الممثلي أن يكون له "توسّع أدنى"، ويقنصر على ممثل واحد يتحمّل كلّ العوامل والأدوار العامليّة الضّروريّة (معطيّا المجال لمسرحيّة داخلية مطلقّة)، البنية الممثليّة تكون في هذه الحالة مذوّتة⁽¹⁾. فالقناع كتمثّل حسيّ له دور عاملي مساعد على التّخفي بالنسبة للذّات العاملة.

1-1-5- التفضية والتزمين:

تعدّ ثنائيّة "التفضية" و"التزمين" «من أحد أهمّ مفاهيم "ميخائيل باختين" المعقّدة، وتعني حرفيّا (الزّمان والمكان) لأنّها مركّبة على التّوالي من المفردتين معا وهو مصطلح مقتبس من علم الأحياء الرّياضي حيث يصف "الشّكل" الذي يجمع بين الزّمان، والمكان، والمعروف أنّ إشكاليّة الزّمان وعلاقته بالمكان إشكاليّة ليست جديدة بل قاربها "كانط" وأتباعه كما قاربها غيرهم ولا شكّ أنّ "باختين" في تبنيّه المصطلح قد ربط سيولة العلاقة الزّمنيّة والمكانيّة في نظريّة "أنشتاين" النسبيّة بالنّقد الأدبي خاصّة أنّ النظريّة النسبيّة تقول إنّ الفصل بين الفعل والزّمن أمر محال لأنّ الزّمن هو البعد الرّابع

(1) - جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري

للمكان، وقد استبعد مثل هذا الرّبط المنظور النيوتيني الضيق المغلق، وبالتالي فإنّه ربط استراتيجي يتلاءم مع نظرية "باختين" الحوارية»⁽¹⁾.

ولقد عالج "باختين" هذه الثنائية في مقاله: (أشكال الزمن وأشكال الزمكانية في الرواية: ملاحظات نحو شعرية تاريخية)، وحدد الثنائية باعتبارها الترابط الداخلي الفني لعلاقات الزمان والمكان المعبر عنها في الأدب كما اعتبرت الثنائية وحدة تحليل لدراسة النصوص من منظور "مايكل هولكويست" و"كاريل إميرسون"⁽²⁾.

فقد برز الاهتمام بهذه الثنائية في الحقل السردي، إلا أنّه في «معظم الأبحاث التي تناولت منهج "غريماس" السيميائي في الدراسة قد اقتصر على المبادئ الأساسية لنظريته المعتمدة على ضرورة تحديد البنيتين السطحية والعميقة لكل نص معطى وأهملت جانبيين للتحليل على درجة من الأهمية هما: البنيات الزمانية والبنيات الفضائية أو المكانية -البنيات الزمكانية- حتى "غريماس" يعترف بعدم تطرقه إليها والتّظير لها مع أنّها تدرج في إطار المكوّن الخطابي والدلالي»⁽³⁾.

(1) - ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002 ص170.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

(3) - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص109.

وهذا لا ينفي إشارته لثنائية (التفضية والتزمين) في كتابه الخاص بأقصوة لموباسان (sémiotique du texte exercices pratiques) (Maupassant la «حيث أطر نتيجة مفهوم أو معرفة انفصال التفضية والتزمين»⁽¹⁾، المرتبطة بوضعية الممثل في الملفوظ السردى بمعنى حالة الممثل في الوضعية البدئية وفي الوضعية النهائية المتصلة بثنائية التفضية والتزمين فنكون مثلاً أمام تقسيم فضائي (هنا، هناك، هنالك)، وتقسيم زمني الآن/ اللا الآن أو «توالي زمني خاص إمّا ب (القبل) وإمّا ب (البعد)...»⁽²⁾ ويمكن توضيح هذه الثنائية كآلاتي:

- عنصر التفضية:

يتوفر المكان في بنية النصّ الروائي على بعد بنائي من خلال تشابكه وتعالقه البنيوي/ السيميائي مع المكونات النصّية الأخرى⁽³⁾، حيث يرتبط الفضاء بعلاقات الشّخص فيما بينها، لأنّ ما يشكّل التّمايز بين الفضاءات هو التّمايز بين الفواعل والكلّ في اتّصال وثيق بالزّمان⁽⁴⁾.

(1)- Voir, Algirdas Julien Greimas, Maupassant la sémiotique du texte exercices pratiques, éditions du Seuil, Paris 1976, p: 66.

(2)- Ibid, p:70.

(3)- ينظر: خالد حسين، شؤون العلامات من التفسير إلى التأويل، دمشق، ط1، 2008 ص162.

(4)- ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص113.

وفي معجم "غريماس" نجده يرى «رغم التّمييز الذي يتمتّع به مفهوم الفضاء يبقى كعنصر سيميائي يكشف من خلاله بداية ونهاية الاستعمال أو الإنجاز الغامضة والمبهمة من خلال وحدات سيميائية»⁽¹⁾، حيث انطلق "غريماس" من ملاحظات "فلاديمير بروب" للمكان الذي يقسمه إلى ثلاثة أطر بحسب الاختبارات التي يمتحن فيها البطل (الفاعل)، بانتقاله من فضاء إلى آخر وهي⁽²⁾:

1- المكان الأصل وهو مسقط رأسه.

2- المكان الذي يحدث فيه الاختبار التّأهيلي، وهو في طابعه عرضي ومؤقت.

3- المكان الذي يقع فيه الإنجاز المتعلّق بالاختبار الرّئيسي.

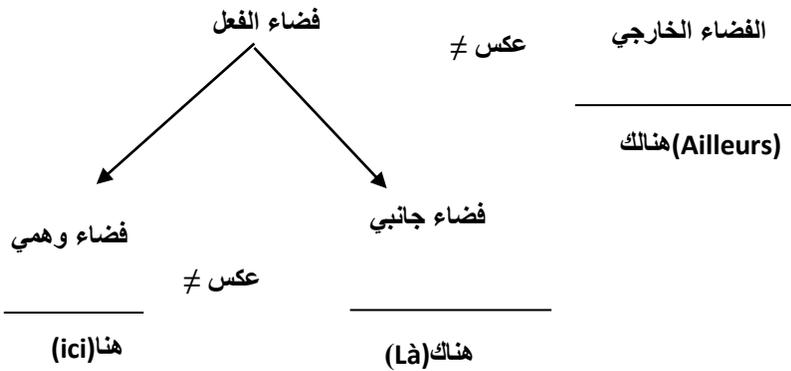
حيث قام "غريماس" بنوع من التّعديل في تناوله للبنيات الفضائية إذ اصطلح على المكان الذي تجري فيه الأحداث بـ: (المكان الأصل) بمصطلح الفضاء الخارجي (Espace hétérotopique)، وهو ما يحدّد نقطة انطلاق ونهاية فعل البطل، في حين يصنّف فضاء الفعل (Espace topique) إلى قسمين هما كالآتي:

(1)– Voir, A.J. Greimas, J, courtés, sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Paris, 1979, p: 358.

(2)– نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص114.

- الفضاء الجانبي (Espace paratopique)، وهو مكان للوساطة بين أقطاب التّصنيف الفضائي لاكتساب الكفاءة لذلك يمارس فيه الاختبارين التأهيلي، والتّمجيدي.

- والفضاء الوهمي (Espace utopique)، وهو المكان الحاوي للتّحول المنطقي، وهو المؤطّر للاختبار الرّئيسي⁽¹⁾، ويمكن توضيح ذلك كما في الشّكل الآتي:⁽²⁾



ويرى "غريماس" أنّ الفضاء الخارجي (هناك) مرتبط بالوضعية البدئية والوضعية النهائية يقابل عكسيا مع فضاء الفعل المرتبط بالكفاءة، والإنجاز للفعل، والذي بدوره ينقسم إلى فضائين متقابلين هما: الفضاء الوهمي (هنا) والفضاء الجانبي (هناك).

(1) - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص 115.

(2) - Voir, Algirdas Julien Greimas, Maupassant la sémiotique du texte exercices pratiques, p:100.

- عنصر التزمين:

يتدخل عنصر التزمين في بناء الممثل في الرواية، فنجده يستند إلى ماضيه، وحاضره، ومستقبله، فالزمن يشكّل الدعامة الأساس في بناء الذات على مستوى الحدث والسرد والمكان⁽¹⁾، «وتمثّل النقصيّة والممثلين والتزمين عناصر في المركبة الخطابية أو النصية الخطابية كما أنّها تستعمل إجراءات أو آليات الفصل والوصل في الملفوظ أساس الإصلاح أو التجديد»⁽²⁾ حيث ينتقل الممثل من الوضعية البدئية إلى الوضعية النهائية، فيحدث تحوّل إمّا بالفصل أو الوصل، بحسب علاقته بالموضوع، فينتقل من حالة الاتصال أو الانفصال عنه، ولعلّ هذا التحوّل للممثل يمرّ عبر تحوّل في الإطار المكاني، والزّماني.

فالبحث عن البنيات الزمانية متعلّق بالبحث عن الفعل، فحين نربط تلك الأفعال المنجزة بزمان معيّن، ننطلق من شعور عن وعي مسبق بأنّ لحظة وقوع الفعل تخضع لآلية زمنية تتحكّم فيه، فالأحداث الواقعية في بداية السرد (الما قبل) تتنافى والأحداث الواقعية في نهايته (الما بعد)، حيث تتقلب مجرياتها وتحوّل بين كلا الزمانين - زمان البداية، وزمان النهاية- لنجد أنفسنا أمام احتمالات من قبيل:

(1)- ينظر: مراد عبد الرحمان مبروك، بناء الزمن في الرواية المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1998، ص158.

(2)- Voir, A.J. Greimas, J, courtés, sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, paris, 1997, p:387.

1- ظهور فواعل واختفاء أخرى.

2- تناوب لسيرورة الأفعال.

3- تولد أحداث جديدة ترمي إلى تحقيق أساليب للنزاع والصراع معا⁽¹⁾.

وبذلك أشار "غريماس" إلى ثنائيات "التقصية" و"التزمين" إلا أنه لم يفصل فيها، إذ كانت مبنية على فكرة التحول، والبحث في المفاهيم السيميائية والإجراءات النقدية كما في سيميائية العمل، وسيميائية الأهواء وعليه إذا كانت الدراسة السيميائية للنص السردى تتطرق عبر المسار التحليلي من البنية السطحية إلى البنية العميقة فإن البنية السطحية تضم المركبة الخطابية والمركبة السردية والبنية العميقة تضم المركبة المنطقية الدلالية.

1-2- المركبة السردية:

يعدّ المستوى السردى الخطوة الثانية في البنية السطحية، وفي المسار التحليلي إذ يعتبر «أكثر تجريدا بالنظر إلى المستوى الخطابى حيث يسعى إلى إعطاء شكل لانتشار الوضعيات والأحداث، والحالات، والتحويلات فى الخطاب، ويتقدّم النص على مستوى التنظيم السردى بوصفه متتالية من الحالات والتحويلات التى تقوم بين هذه الحالات...»⁽²⁾، فالمستوى السردى أو «المركبة السردية للنص تُعرف بمثابة تتابع الحالات والتحويلات أو سلسلة

(1) - ينظر: نادية بوشفرة، مباحث فى السيميائية السردية، ص 110.

(2) - ينظر: ميشال أريفيه و آخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك ص 112.

من الحالات، فالوَضعية (أ) تتحوّل إلى وضعية (ب)، وتسمّى السردية ظاهرة لسلسلة من الحالات والتحوّلات»⁽¹⁾، ويقوم المستوى السردى على جملة من المفاهيم السيميائية التي حدّدها "غريماس" وهي: (النّمودج العاملي والخطاطة السردية، والبرنامج السردى) وهي كالآتي:

1-2-1- النّمودج العاملي (Le modèle actantiel):

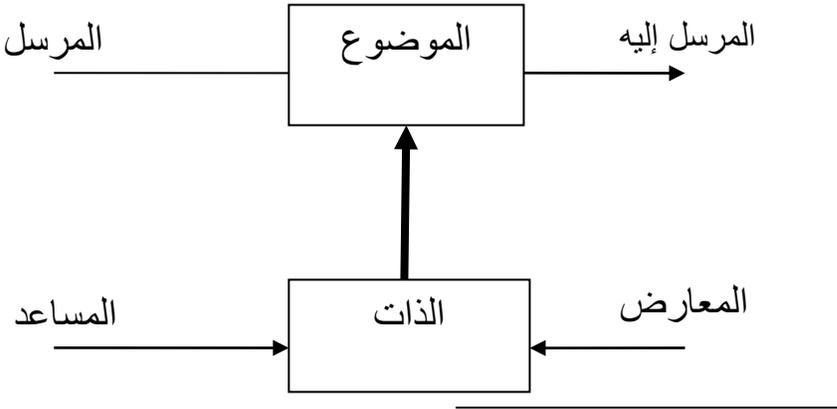
استفاد "غريماس" من تصوّرات معرفية سابقة في بلورة النّمودج العاملي وكما أشرنا في هذه الدراسة فقد استثمر "غريماس" تصوّر كلّ من "فلاديمير بروب"، و"تنيير"، و"سوربو" وغيرهم في تأسيس نظريته التي تقوم على فكرة التحوّل، والضبط العاملي. ويمكن أن «نميّز في نظريته بين العامل (Actant) الذي نتصوّره في العمل الذي يؤديه فهو كائن مجرّد له دور في التّصرف الوظائفى مثل ذلك تقديم يد العون الذي يعدّ من وظائف العامل (المساعد) وبين القائم بالفعل (Acteur)، وهو الشّخصية في كامل صفاتها وصورها كما هيّ ظاهرة في النصّ»⁽²⁾.

ويرى "غريماس" أنّ العامل قد يكون فردياً أو جماعياً كما يمكن أن يكون مجرّداً، مشيئاً أو مؤنسناً بحسب تموضعه في المسار المنطقي للسرد»⁽²⁾.

(1) – Voir, Group d'entrevrnes, Analyse sémiotique des textes, p:14.

(2) – ينظر: السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي دراسة سيميائية "غدا يوم جديد لابن هذوقة عينة"، منشورات الاختلاف، ط1، 2000، ص16.

فاستخلص "غريماس" من الدّراسات السّابقة نموذجَه العاملي والذي يرى بأنّه «قوّة إجرائيّة كبيرة تتمثّل في قدرته على استيعاب جميع أنواع الخطابات بما فيها السّياسية والفلسفيّة»⁽¹⁾، ويقوم النّمودج العاملي على ستّة عوامل في شكل ثنائيات هي: (الذّات والموضوع)، و(المرسل والمرسل إليه) و(المساعد والمعارض)، كما هيّ موضّحة في كتابه (Sémantique structurale)، وتتخذ العوامل ثلاث علاقات، فالموضوع بعلاقة اتّصال بين المرسل والمرسل إليه برغبة من الذّات الحالة، ويتمّ في النّمودج بعلاقة صراع بين المساعد والمعارض⁽²⁾، ولعلّ نواة النّمودج العاملي وجوهه هيّ الذّات والموضوع، ومنه ترتسم التّشكيّلة للنّمودج العاملي الشهير لـ: "غريماس" كما في الشّكل الآتي⁽³⁾:



(1) - ينظر: عبد العالي بوطيب، مستويات تحليل النص الروائي (مقاربة نظرية)، مطبعة الأمنية، دمشق، الرباط، د م، ط1، 1999، ص68.

(2) - Voir, Algirdas Julien Greimas, sémantique structurale, p: 180.

(3) - Idem.

وللنموذج ثلاثة محاور تربط بين العوامل هي كالاتي⁽¹⁾:

- محور الرغبة: وهو الرابط بين الذات والموضوع.

- محور الإبلاغ أو الاتصال: وهو ما يوصل بين المرسل والمرسل إليه.

- محور الصراع: وهو ما يربط بين المعارض والمساعد.

وللتفصيل أكثر في هذه المحاور سنقف في ضبط وتحليل العوامل

السردية للنموذج في ثلاث فئات كالاتي:

1- الفئة العاملة (الذات والموضوع):

تعدّ هذه الفئة نواة النموذج العملي حيث تعد مصدر الفعل ونهايته⁽²⁾ وتمثّل العلاقة بين الذات (Sujet) والموضوع (Objet) «العنصر الحيويّ في النموذج العملي، لأنّ هذه العلاقة تستقر في وضع غائي (Téléologique) موافق لعمل القدرة على فعل الذات في امتلاك الموضوع المرغوب فيه»⁽³⁾، بمعنى تجمع بين الحدّ الأوّل لهذه الفئة (الذات)، والحدّ الثاني لها (الموضوع) علاقة رغبة؛ أي «بين من يرغب "الذات"، و"الموضوع" المرغوب فيه»⁽⁴⁾، ويقول "جوزيف كورتيس" في هذا الصدد «إنّ علاقة الذات والموضوع هي علاقة ربط تسمح باعتبار هذه الذات وهذا الموضوع كتواجد

(1) - ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص48.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

(3) - ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص49.

(4) - حميد لحميداني، بنية النص السردية من منظور النقد الأدبي، ص34.

سيمياي لأحدهما من أجل الآخر»⁽¹⁾، ويقصد بالتواجد السيميائي ما يوجد من علاقات، حيث يقول «وباعتبار هذه العلاقة مقولة سيميائية يمكن أن تتمفصل إلى مصطلحين متناقضين اتصال وانفصال»⁽²⁾، بمعنى علاقة الذات والموضوع هل هي في حالة اتصال أو انفصال، والتي تحدّد في البرنامج السردى شكلين للتحوّل إمّا تحوّل اتصالي أو تحوّل انفصالي.

وتتحقّق المقولة العامليّة للذات والموضوع انطلاقاً من ملاحظة العلاقة الكامنة بينهما، والمحدّدة للحالة أو الوضعيّة، وبدون شكّ (...) يُتوجّح نجاح جُهد عامل الذات بتمظهر الوظيفة السيميائية للفكرة المجرّدة بوجود علاقة الرّغبة بين الذات والموضوع⁽³⁾، بمعنى يحقّق عامل الذات النّجاح في عمله نحو تحقيق الموضوع انطلاقاً من وجود علاقة الرّغبة بين الذات والموضوع.

2- الفئة العامليّة (المرسل والمرسل إليه):

تعدّ هذه الفئة العامليّة الثّانيّة في النّمودج العاملي من خلال محور الاتّصال أو الإبلاغ؛ أي علاقة التّواصل بين «المحرّك أو الدّافع يسمّيه "غريماس" مرسلاً (Destinateur) كما أنّ تحقيق الرّغبة يكون موجّهاً إلى العامل الآخر، هو المرسل إليه (Destinataire)، وعلاقة التّواصل

(1) - ينظر: جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري ص105.

(2) - المرجع نفسه، ص 106.

(3) - Voir, Algirdas Julien Greimas, sémantique structurale, p: 176.

بين المرسل والمرسل إليه عبر علاقة الرّغبة بين الذات والموضوع»⁽¹⁾ ولعلّ العلاقة بين المرسل والمرسل إليه بتعبير "غريماس" موجّهة من "الكلّ إلى الجزء" (Hyperonimique) فيما نجد علاقة المرسل إليه بالمرسل في اتجاه مناقض له؛ أي من "الجزء إلى الكلّ" (Hyponimique)⁽²⁾.

ويهتم "غريماس" بهذه الثنائيّة باعتبارها تمثّل القوّة في نموذجه، فنجده يؤكّد على هذا بقوله: «إنّ المرسل والمرسل إليه هما عاملان دائمان في السرد ولهما استقلاليّة عن الأدوار العامليّة التّبلغية...»⁽³⁾؛ أي أنّهما يقومان بفعل الإقناع والتّحريك.

3- الفئة العامليّة (المساعد والمعارض):

وتقوم هذه الفئة في النّمودج العاملي على وجود علاقة الصّراع حيث «تتأسّس العلاقة في تقابل هذا الثنائي على وجود مجموعتين من الوظائف، تقوم المجموعة الأولى على تقديم المساعدة بالعمل في اتجاه علاقة الرّغبة أو بتسهيل أمر التّواصل فيما تعمل المجموعة الثّانيّة على خلق العوائق للحصول دون تحقّق الرّغبة أو حصول التّواصل، ولذلك تنشأ

(1) - حميد لحميداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، ص 36.

(2) - ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص 51.

(3) - عليمة قادري، نظام الرحلة ودلالاتها "السندباد البحري - عينة"، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ط1، 2006، ص 389.

بينهما علاقة تعارض (Opposition)⁽¹⁾، ومثال ذلك في الحكايات الشعبيّة إذ نجد «البطل يقوم برحلة البحث عن موضوع القيمة ويصادف في أثناء رحلته من يساعده للوصول إلى أهدافه سواء كان شخصا أو حيوانا أو جنا كما يصادف في الوقت نفسه من يعيق طريقه، ويحول بينه وبين الوصول إلى هدفه النهائي (...)، وإذا كانت هذه الصّورة المبسطة عنصرا أساسيا في تشكيل الحكايات الشعبيّة، فإنّها تبدو بمظهر أكثر تعقيدا في النصوص المعاصرة (...)، فالمعيق لم يعد صورة خارجية معطاة بشكل ضمني أو صريح في العلاقات الاجتماعيّة فحسب بل أصبح أيضا صورة داخلية فقد يكون البطل معيق نفسه»⁽²⁾.

بمعنى تدخّل عامل نفسي أو إصابة بمرض أو حادث للبطل قد يشكّل أمامه عائقا نحو تحقيق الموضوع.

ويبقى العامل المساعد يسعى لتقديم العون والمساعدة للبطل في حين يسعى العامل المعارض إلى عرقلة البطل نحو تحقيق هدفه المنشود أو تحقيق موضوعه، وعليه تتشكّل علاقة الصّراع بين العاملين، فالحدّ الأوّل من هذه الثنائيّة «يقوم بتقديم المساعدة والعمل باتجاه تحقيق الرّغبة أو بتسهيل التّواصل، أما الحدّ الثّاني فعلى العكس من ذلك يعمل على خلق العراقيل

(1) - سلايمة لوكام، تلقى السرديات في النقد المغاربي، دار سحر للنشر، تونس، دط 2009، ص72.

(2) - ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص53.

نحو تحقيق الرّغبة أو التّواصل مع الموضوع»⁽¹⁾، وبهذه الفئة تتحدّد معالم التّمودج العملي ل: "غريماس".

وكما حاولت الباحثة "آن أوبرسفيلد" (A-Ubersfeld) تقديم نوع من التّعديل لا يمسّ التّمودج في شكل بنائه النّهائي، ولا في طريقة صياغة حدوده، ولكنّه ينصبّ على نمط اشتغال الخانات، وعوض الحديث عن خطاطة عامليّة واحدة نهائيّة تختصر التحوّلات المسجّلة في النّص فإنّها تتحدّث عن حركيّة هذا التّمودج، وتحوّلاته المستمرة والانزلاق العملي، وتتجلّى هذه الحركيّة في لا استقراريّة المواقع التّركيبية⁽²⁾.

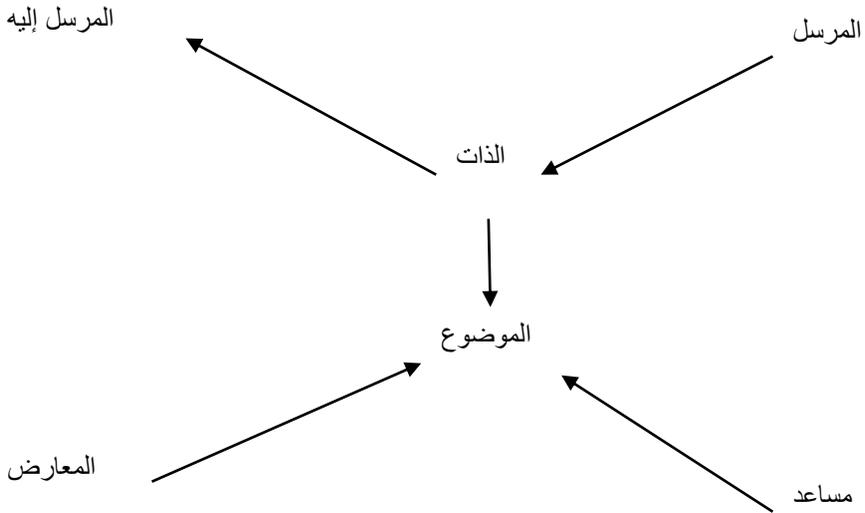
حيث غيّرت الباحثة (A-Ubersfeld) في كتابها (Lire le théâtre) مواقع الدّات والموضوع في التّمودج العملي، إذ ترى بأنّ المرسل يطلب من الدّات تحقيق موضوع للمستفيد (مرسل إليه)⁽³⁾، وكما تفترض أنّ الصّراع يكون حول الموضوع، وليس حول الدّات، وبذلك تتشكّل التّرسّيمة البديل للتّمودج العملي عند الباحثة كالاتي⁽⁴⁾:

(1) - عليمه قادري، نظام الرحلة ودلالاتها "السندباد البحري - عينة"، ص392.

(2) - ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص52.

(3) - ينظر: السعيد بوطاجين، الاشتغال العملي دراسة سيميائية "غدا يوم جديد" لابن هذوقة عينة، ص16.

(4) - ينظر: المرجع نفسه، ص17.



فنلاحظ أنّ سهم الرّغبة غير مجراه وأصبح يوصل المرسل بالذّات لتحقيق الموضوع، إلاّ أنّه «قد طرح مشكل المقرّئية مرّة أخرى ويتجلّى ذلك في السّهم المتّجه من الذّات إلى المرسل إليه، والذي يجب أن يوصل الموضوع بالمستفيد منه لأنّ المرسل غير معني بالذّات كذات، وإنّما بغايتها بالموضوع المسعى»⁽¹⁾، وفي كيفية تغيير الأسهم أو المواقع بين الذّات والموضوع لا يؤثّر في الكشف عن العلاقات بين العوامل وأدوارها ومنه فالنّمودج العملي يمتاز بالحركيّة، والسّيرورة المستمرّة في البنية السّردية.

وكما استفاد "غريماس" من النّظريات السّابقة في بلورة النّمودج العملي، فإنّه عدلّ فيما بعد وقدمت قراءات حوله إلاّ أنّه يمكن أن تتغيّر الخانات بتغيير الأدوار العمليّة في النّمودج، ويمكن أن نجد في النّص أو البنية

(1) - ينظر: السعيد بوطاجين، الاشتغال العملي دراسة سيميائية "غدا يوم جديد" لابن هذوقة عينة، ص 18.

السردية أكثر من نموذج عاملي واحد «فلا توجد خطاطة عاملية واحدة نهائية»⁽¹⁾، حيث يمكن أن ينزلق دور المرسل إلى ذات أو مساعد أو معارض ويمكن أن ينزلق دور المساعد إلى ذات في برنامج سردي آخر، وهكذا نكون أمام شبكة علائقية من العوامل في البنية السردية.

1-2-2-1- الخطاطة السردية (Schema narrative):

تقوم الخطاطة السردية على أربعة أطوار هي: (التحريك، والكفاءة والإنجاز، والجزاء)، و«تقوم داخل هذه الأطوار علاقات بين أدوار العوامل المحققين للحالات والتحويلات، تشغل هذه العوامل أدوارا عاملية تبعا لوضعيتها ضمن تلاحق الأطوار الأربعة ويصدر تحديدها وتطويرها عن هذه الوضعية نفسها»⁽²⁾.

- التحريك (Manipulation):

يهدف هذا الطور لإبراز (فعل الفعل)؛ أي يفعل العامل فعلا محدثا لفعل آخر، ويناسب هذا تأسيس فاعل لتحقيق برنامج يطلق المرسل على الدور العامل الخاص بمنشئ فاعل عامل آخر، ويتم ذلك من خلال الإقناع، والتهديد والإغراء، والوعد... الخ⁽³⁾، ولقد أورد في المعجم المعقّلن لـ: "غريماس"

(1) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص52.

(2) - ميشال آريفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك، ص114.

(3) - ينظر: المرجع نفسه، ص114.

أنَّ التَّحْرِيكَ هُوَ عَمَلِيَّةٌ تَخْتَلِفُ وَتَتَغَيَّرُ بِتَغْيِيرِ الْفِعْلِ نَحْوَ الْأَدَاءِ⁽¹⁾، فَالتَّحْرِيكَ مَتَعَلِّقٌ بِاللَّحْظَةِ الْأُولَى لِلْفِعْلِ نَحْوَ التَّحْوُلِ مِنْ حَالَةٍ إِلَى حَالَةٍ مَغَايِرَةٍ وَلِهَذَا أُطْلِقُ عَلَيْهَا التَّحْرِيكَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى ذَلِكَ، فَهُوَ لَحْظَةٌ انْتِقَالٌ لِلْفِعْلِ، وَيَحَدِّدُ التَّحْرِيكَ كَوْنَهُ الْإِطَارَ الْمَرْجِعِي لِلْفِعْلِ، وَالْمُضْمُونِ الْإِيدِيُولُوجِي لِكُلِّ الْأَفْعَالِ الْآتِيَّةِ وَ«تَأْسِيسًا عَلَى هَذَا يَجِبُ تَحْدِيدُ التَّحْرِيكَ بِاعْتِبَارِهِ لَحْظَةً الْحَسْمِ الْإِيدِيُولُوجِي أَوْ هُوَ الْاِخْتِبَارُ الْإِيدِيُولُوجِي فِي خُطُوئِهِ الْعَامَّةِ قَبْلَ أَنْ تَعْمَلَ الْحَرَكَةُ السَّرْدِيَّةُ عَلَى تَخْصِيصِهِ وَتَحْدِيدِ مَعَالِمِهِ مِنْ خِلَالِ تَحْدِيدِ الْوَضْعِيَّاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْخَاصَّةِ»⁽²⁾.

– الكفاءة (Compétence):

وتعدّ الكفاءة الطّور الثّاني في الخطاطة السردية، حيث «تهدف إلى إبراز (كينونة الفعل) إنّ قيادة النّشاط مرّبّوطة ببعض الحالات، ويتطلّب تحقيقه شروطاً، تتشكّل كفاءة الفاعل المنقذ بامتلاكه لشروط بدونها يتجمّد النّشاط المقيد في بداية التّحريك»⁽³⁾، بمعنى يجب أن يمتلك الفاعل الوسائل التي تمكّنه من القيام بالفعل، وبذلك يمتلك القدرة، والمعرفة، والخبرة الكافية نحو الإنجاز.

(1)– Voir, A.J. Greimas, J, courtés, sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, p: 220.

(2)– ينظر: ميشال آرفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك ص59.

(3)– ينظر: المرجع نفسه، ص114، 115.

ومنه «إذا كان التّحرك يتمفصل إلى فعلين أساسيين: فعل إقناعي (المرسل)، وفعل تأويلي (الذّات) فإنّ القبول كترجمة ثانية للتأويل يعدّ نقطة إرساء لقواعد اللّعبة الآتية، والإعلان عن انخراط الذّات فيها على أنّ هذا القبول لا يعني سوى الانتقال من الاحتمال إلى التّحيين»⁽¹⁾ ولكي تحقّق الذّات إنجاز الفعل بات لزاما عليها أن تمتلك الخبرة المؤهّلة لهذا الإنجاز، والأهليّة لا يمكن أن تتحدّد انطلاقا من ملفوظ الفعل بل من ملفوظ الحالة، وذلك ما جاء في كتاب "سعيد بنكراد" «إنّ ما يشكّل أساس الأهليّة هو ملفوظ الحالة، فالحالة المتجليّة في مرحلة التّحرك (المبني على الإقناع والتأويل) هي منطلق الأهليّة وعنصرها الرّئيسي ومن هنا فإنّ موضوع الأهليّة يتكوّن من مجموعة من الصيغ يحدّدها "غريماس" في: (وجوب الفعل، ومعرفة الفعل، وقدرة الفعل، وإرادة الفعل)»⁽²⁾.

- الإنجاز (Performance):

ويعمل هذا الطّور على تجليّة (فعل الكينونة)، والإنجاز كما ورد في معجم "غريماس" يعود في أصوله إلى "تشومسكي"، الذي أتى بهما من التّفرّع النّثائي (اللّغة والكلام) عند سوسير⁽³⁾، فأصول هذا المصطلح تعود إلى الرّافد اللّساني - وقد أشرنا لذلك سابقا- والإنجاز في الخطاطة

(1)- سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص 59.

(2)- المرجع نفسه، ص 60.

(3)- Voir, A.J. Greimas, J, courtés, sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, p: 270.

السردية هو مرحلة التنفيذ والشروع في العمل من طرف عامل الذات لتحقيق الموضوع، و«يعتبر الإنجاز أو الأداء محور البرنامج السردية ففي غيابه ينتفي حدوثه (ب س)، إنه نواته التي تعمل بداخلها العمليات (الأفعال)، فتتحول الأحوال والماهيات إلى غير ما كانت عليه قبلا ومنه جاءت تسميته بفعل الكينونة...»⁽¹⁾.

وعليه فالإنجاز «هو فعل يؤدي إلى الحصول على الموضوع ويعتبر الإنجاز أحد الأطوار الأساسية في سلسلة تدرج عناصر البنية السردية المتناسكة التي تنظم فيها البرامج السردية حيث تلعب الطاقات (Qualifications) التي يمتلكها الفاعل دورها في إدارة الصراع وتحقيق الفعل»⁽²⁾.

- الجزاء (Sanction):

ويعتبر الجزاء آخر أطوار الخطاطة السردية، فهو مرحلة تقييم الفعل المنجز من طرف الذات، و«يقوم الجزاء بإبراز (كينونة الكينونة)، وفي ترابطه مع التحريك المؤسس للبرنامج المستهدف يقدم معالجة للبرنامج المحقق في سبيل تقويم ما تم تحويله، والنظر في الفاعل المتبني التحويل (...)

(1) - نادية بوشفرة، معالم سيميائية في مضمون الخطاب السردية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، دط، 2011، ص 45.

(2) - بوعلي كحال، معجم مصطلحات السرد، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2002، ص 24.

يكون الجزء إيجابيا أو سلبيا تبعا للتقييم الإيجابي أو السلبي»⁽¹⁾. فالعامل الذات يمكن أن ينجح أو يفشل في البرنامج السردى نحو تحقيق الموضوع ويمكن دراسة المربع التصديقي في طور الجزء فمن خلاله يمكن الكشف عن ثنائية الصدق والكذب، وكما يمكن الكشف عن الذات في نهاية الفعل المنجز من خلال معرفة الكينونة والظهور، وعليه فقد عمل "غريماس" على صياغة مبدأ المحايثة من الحقل الألسني في الدرس السيميائي، وذلك انطلاقا من «منظورين يُبنى المنظور الأول على مقولة التصديق (Véridiction) المتمفصلة إلى محوريّ المحايثة (الكينونة)، والتجلي (الظاهر) (...)، ويؤسس "غريماس" المنظور الثاني على المقابلة: المحايثة/ السمو أين يمكن أن تسخر على الرّسم السردى لإبراز تباين موقعي الفاعل والمرسل»⁽²⁾، فالمصادقة من حيث هي حكم تقييمي، يأخذ في اعتباره مدى ملائمة الأشكال الخارجيّة في شتى صورها لما تحمله بداخلها من اختلاف في الجوهر وتغاير في الماهيّة⁽³⁾. وللبحث عن العلاقات الواردة في المربع التصديقي نجد في كتاب لـ: "Groupe d'entrevernes" (Analyse sémiotique des textes) ضبط وضعيات المربع التصديقي حيث يقدّم التحليل السيميائي بنيات لنظام مجرّء للفعل في التركيبة ويعرف

(1) - ينظر: ميشال آرفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك ص115.

(2) - ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص10، 09.

(3) - ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص74.

كإطار لهذا النظام (باطن عكس ظاهر)، ولترتيب قيم النظام نجد تعدد صورته التي بدورها تلخص المربع التصديقي وهي كالاتي⁽¹⁾:

أ- علاقة الحالة الإيجابية تعرف نحو مخطط الباطن، ونحو مخطط الظاهر:
ظاهر/+باطن/ أو بمعنى آخر: /كينونة/+ظاهر/ وهذا التنسيق يظهر صورة (الحقيقة) في شكل/ظهور/+ /كينونة/= حقيقة.

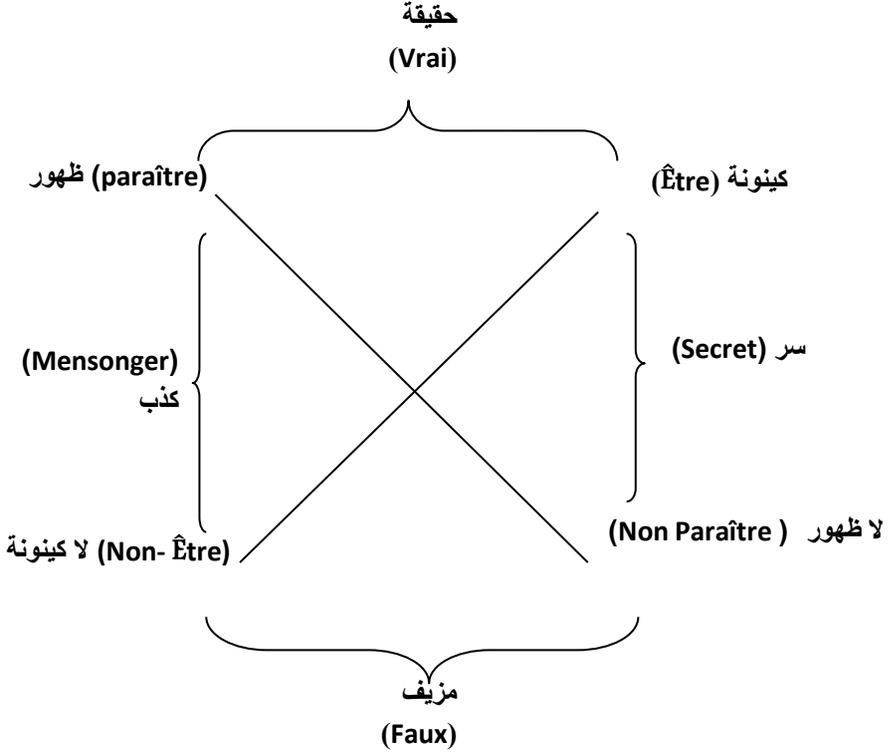
ب- علاقة الحالة السلبية تعرف بأحد المخططين: /ظاهر/+ /لا باطن أو /لا ظهور/+ /لا كينونة/ وتعرف الحالة بـ: (مزيف) وذلك في الشكل:
/لا ظهور/+ /لا كينونة/= مزيف.

ج- علاقة الحالة السلبية تعرف نحو مخطط (الظاهر)، والإيجابية نحو مخطط (الباطن): /لا ظاهر/+ باطن/ وتعرف الحالة بـ: (خفي) أي في شكل:
لا ظاهر/+ /كينونة/= خفي أو سر.

د- علاقة الحالة الإيجابية تعرف نحو مخطط (ظاهر)، وسلبيا نحو مخطط (باطن)، ومنه /ظاهر/+ /لا باطن/ وتعرف الحالة بـ: (كذب) أي في شكل: /ظهور/+ /لا كينونة/= كاذب.

(1)- Voir, Groupe d'entrevernes, Analyse sémiotique des textes
p: 43.

وهذه أربع وضعيات لصورّ تتمظهر في مخطّط منظم يرد في شكل مربع كالاتي⁽¹⁾:



ويمكن تلخيص هذه الأطوار الأربعة للخطاطة السردية، كما ورد في كتاب ((Groupe d'entrevernes)) في الجدول كالاتي⁽²⁾:

(1)– Groupe d'entrevernes, Analyse sémiotique des textes, p: 43.

(2)– Voir, Ibid, p:19.

التَّحريك (Manipulation)	الكفاءة (Compétence)	الإنجاز (Performance)	الجزاء (Sanction)
فعل - الفعل	كينونة - الفعل	فعل - الكينونة	كينونة - الكينونة
- علاقة المرسل بالذّات العاملة أو المنجزة.	- علاقة الذّات العاملة أو المنجزة بعملية موضوع صيغي (جيهي).	- علاقة الذّات العاملة أو المنجزة الحالة بموضوع القيمة.	- علاقة المرسل بالذّات العاملة. - علاقة المرسل بالذّات الحالة.

1-2-3- البرنامج السردى: (Le programme narratif (PN):

يعدّ البرنامج السردى من المفاهيم السيميائية في المركبة السردية فإذا كانت الخطاطة السردية تقوم على وجود أربعة أطوار تحدّ الانتقال من وضعيّة إلى وضعيّة مضادّة لها، فإنّه ولكي تتطافر هذه الأطوار و«تشتغل لابدّ من وجود إطار يحدّد للفعل منطقاً وغاية وإنّ هذا الإطار يطلق عليه "غريماس" "البرنامج السردى"، والبرنامج السردى صيغة تركيبية منظّمة للفعل الإنسانى بشكل صريح أو ضمّنّى»⁽¹⁾.

(1) - سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص 68.

فالبرنامج السردى هو الهيكل العام الذي تشتغل فيه أطوار الخطاطة السردية «ويطلق البرنامج السردى في الواقع على توالي السردية في الحكاية بمعنى سلسلة من الحالات والتحويلات تحدد علاقة الذات بالموضوع في البرنامج السردى (PN)»⁽¹⁾، «(....) أي تتابع علاقة الحالات والتحويلات المتسلسلة نحو قاعدة علاقة الذات (Sujet) بالموضوع (Objet) (S,O) وفي هذا التحول (PN) (Programme narratif) البرنامج السردى تتألف إذن تحولات كثيرة»⁽²⁾.

فالبرنامج السردى يتعلّق بعملية التحويل التي تتسم باتّصال الفاعل بالموضوع، على ذلك ينبه "غريماس" إلى أنّ الفاعل لا يشترط أن يكون إنساناً بالضرورة وموضوع القيمة ليس شيئاً جامداً، إنّما هو: (أدوار ومفاهيم ووضعيّات تركيبية)⁽³⁾، لها علاقتها في البنية السردية وتأخذ علاقة الذات العاملة بالموضوع في البرنامج السردى شكلين هما⁽⁴⁾:

- ملفوظ الحالة الفصلة: الذات (s) والموضوع (o) في علاقة انفصال ويأخذ الشكل (U) كعلامة للانفصال، ويكتب: (s U o)؛ أيّ (الذات U الموضوع).

(1)- Voir, Groupe d'entrevernes, Analyse sémiotique des textes p: 65.

(2)- Voir, Ibid, p: 16.

(3)- ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص54.

(4)- Voir, Groupe d'entrevernes, Analyse sémiotique des textes p: 15.

- ملفوظ الحالة الوصلة: الذات (s) والموضوع (o) في علاقة الاتصال
ويأخذ الشكل (∩) كعلامة للاتصال، ويكتب: (s∩o)؛ أي (الذات ∩
الموضوع).

فالبرنامج السردى يتكوّن من ملفوظ فعل وملفوظ حالة ويظهر
ذلك في الصيغة الآتية⁽¹⁾:

ب س = و [ذ 1 ← (ذ 2 ∩ م ق)].

ب س = و [ذ 1 ← (ذ 2 ∪ م ق)].

ففي الصيغة الأولى نلاحظ أنّ البرنامج السردى لملفوظ الفعل يتم بتحوّل
الذات الفاعلة أو المنجزة إلى ذات حالة نحو علاقة اتصال بالموضوع القيمة
أمّا في الصيغة التانيّة فإنّ البرنامج السردى يأخذ وظيفة في ملفوظ الفعل
بانتقال الذات الفاعلة أو المنجزة إلى ذات حالة نحو علاقة انفصال
عن موضوع القيمة، ومنه فهناك شكلان للتحوّل في البرنامج السردى الأول
تحوّل اتّصالي حيث ينتقل عامل الذات من علاقة انفصال عن الموضوع
إلى علاقة اتصال ويأخذ الصيغة الآتية:

(ذ 1 ∪ م ق) ← (ذ 2 ∩ م ق).

(1)- Voir, A.J. Greimas, J, courtés, sémiotique dictionnaire raisonné
de la théorie du langage, p:297.

والشكل الثاني للتحوّل في البرنامج السردّي هو تحوّل انفصالي يتمّ بانتقال الذات العاملة أو المنجزة من علاقة اتّصال بالموضوع القيمة إلى علاقة انفصال عنه، ويأخذ الصيغة الآتية:

$$(ذ 1 م ق) \leftarrow (ذ 2 م ق).$$

كذلك يتحوّل البرنامج السردّي البسيط إلى برنامج سردي مركّب إذا تطلب مسبقاً تنفيذ برنامج سردي آخر، كحال القرد الذي يسعى إلى الحصول على الموز فيجد نفسه محتاجاً إلى البحث عن عصا، ويطلق على البرنامج الأول (السعي للحصول على الموز) اسم البرنامج السردّي الأساس أو الرّئيس أو القاعدي (Programme narratif de base) ويطلق على الآخر (البحث عن العصا) اسم البرنامج السردّي العملي أو الاستعمالي أو الرّديف (Programme narratif d'usage)⁽¹⁾، فالأول أيّ البرنامج السردّي الرّئيس هو في طابعه أساسي لتعيين الإنجازات المستهدفة لتحقيق تحويل رئيسي في العلاقة بين الذات والموضوع، والثاني أي البرنامج السردّي الرديف وهو الذي نجده وسيلة أو ذريعة مدرجا ضمن البرنامج الأساسي لذلك فهو يعدّ برنامجاً ثانويّاً يحقّق إنجازاً فرعيّاً⁽²⁾.

(1) - ينظر: لطيف زيتوني، معجم المصطلحات نقد الرواية (عربي - إنجليزي - فرنسي)

مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت، ط1، 2002، ص33.

(2) - ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص57.

1-3- المركبة المنطقية الدلالية:

إذا كانت البنية السطحية تقوم على وجود المستوى الخطابي، والمستوى السردى فإنّ البنية العميقة في دراسة البنية السردية من المنظور السيميائي تقوم على وجود المستوى المنطقي الدلالي الذي يضمّ مجموعة من المفاهيم يقف المحلّ السيميائي منها بالدراسة والتحليل وهذه المفاهيم هي كالآتي:

- **المربّع السيميائي (Le carré sémiotique):** لقد اقترح "غريماس" نموذج التكويني أو ما يعرف بالمربّع السيميائي، والذي استثمره من دراسات سابقة، حيث يعتبر المربّع السيميائي «نموذج لشبكة العلاقات الدلالية الأساسية (...) قابل للتماثل مع بعض أوجه التركيب السردى والنسبة لـ: "غريماس" (المربّع السيميائي) هو قبل كلّ شيء بنية انبثاق تسعى إلى تمثيل كيف يتمّ إنتاج الدلالة عن طريق سلسلة من العمليات الإبداعية لمواقع متباينة»⁽¹⁾، حيث يرد في معجم "غريماس" أنّه «يقصد بالمربّع السيميائي التمثيل البصري لعلاقات منطقية في المقولة السيميائية لأيّ بنية...»⁽²⁾.

فالهدف من مشروع الدلالة البنيوية عند "غريماس" هو البحث عن الشّروط التي بواسطتها نتلقّى المعنى، إنّ كلّ معنى لا يقوم

(1) - ينظر: أ، ج، غريماس، ج، كورتيس، د باط، الكشف عن المعنى في النص السردى - النظرية السيميائية السردية - تر: عبد الحميد بواريو، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر 2008، ص 151.

(2) - Voir, A.J. Greimas, J, courtés, sémantique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, p:29.

على تعارضات ثنائية فقط، وإنما على تعارضات من نوع (أ، ب) و(لا أ، لا ب) مثل: (أسود، أبيض) و(لا أسود، لا أبيض)، فإنّ منظومة المربّع السيمائي ذات طبيعة منطقيّة دلاليّة، ويجب أن ينظر إليها باعتبارها سابقة عن كلّ استعمال لأنّ الأمر يتعلّق بنموذج شكلي سابق عن كلّ معنى أي أنها خطاطة تجريدية مشكّلة قبل كل استعمال مدلولي⁽¹⁾.

ومنه فإنّ «أهميّة المربّع السيمائي تكمن في تمثيل العلاقات بين العناصر وإخضاعها لنظام منطقي (علاقات التّضاد، والتّناقض، والتّكامل أو التّضمن)، والعمليّات الممارسة على العناصر التي تربطها علاقة عمليّة النّفي وعمليات الإثبات، ترمي هاتان العمليّتان إلى نفي عنصر لإبراز، عنصر آخر (...)»، ويساعد المربّع السيمائي على الفصل في هذه العلاقات وتوضيح وتقدير الرّوابط التي تقيّمها فيما بينها، بالإضافة إلى ذلك فقد استطاع التّحليل السّردي أن يبرز البعد الجدالي وبالتالي المقابلة بين الفواعل والمواضيع المتعلّقة بالقيمة المتصارع عليها، ويسمح المربّع السيمائي بتوضيح نوعيّة المقابلة القائمة⁽²⁾.

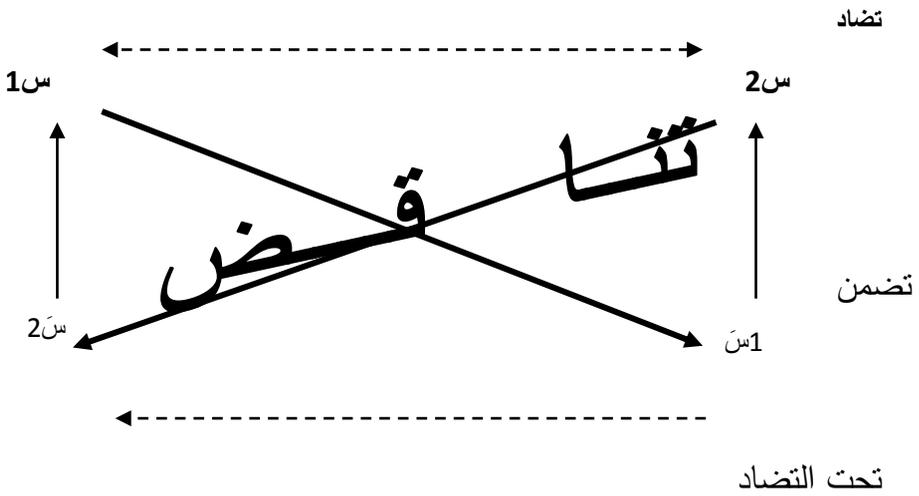
ويهتمّ المحلّل السيمائي بدراسة المربّع السيمائي في المستوى المنطقي الدّلالي للكشف عن إنتاج الدّلالة في البنية السّرديّة، ويقوم هذا المفهوم على «البنية الأولى للدّلالة التي تتميّز بمظهرين: مظهر عمودي يظهر

(1) - ينظر: ميشال آرفيه وآخرون، السيمائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك ص. 47.

(2) - المرجع نفسه، ص 121.

لنا العلاقات التآلية: (التضاد، والتناقض، والتداخل)، ومظهر مركبي وهو الذي يجسد البعد الدينامي للمربع السيميائي اعتمادا على التوازي بين العلاقات التي تعدّ السند المركز بالنسبة للمظهر المركبي الدينامي...»⁽¹⁾.

فبالنسبة للمظهر العمودي تتشكل الدلالة لوجود علاقات بين الثنائيات الضدية، ولقد حدّد "غريماس" هذه الثنائيات من خلال العلاقات الكامنة في المربع السيميائي في المعجم كالاتي⁽²⁾:



أو: ← علاقة تناقض: (Contradiction).

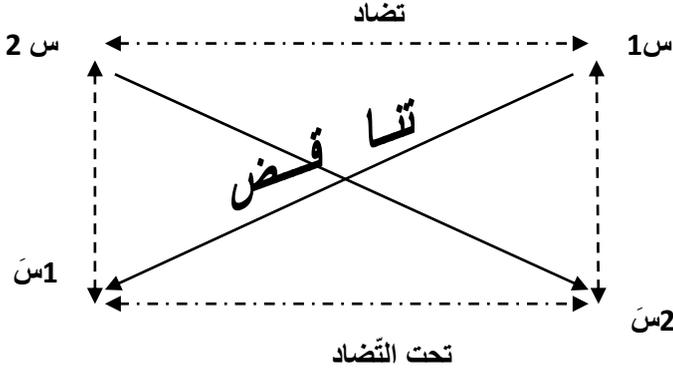
(1) - ينظر: عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية التركيب - الدلالة)، ص 148، 149.

(2) - Voir, A. Greimas, J, Courtés Sémantique dictionnaire raisonné de La Théorie du langage, p: 32.

----- ← علاقة تضاد: (Contrariété).

← علاقة تكامل (تضمن): (Complémentarité).

ولقد وضّح "رشيد بن مالك" هذه العلاقات في كتابه: (مقدّمة في السيميائية السردية) على نحو ما أثبتته "غريماس"، ويمكن أن نوردها في الخطاطة الآتية⁽¹⁾:



أمّا بالنّسبة للمظهر المركبي فإنّ المربع السيميائي يتشكّل بوجود حركة المسارات الدلالية لست علاقات فيتأطرّ كالاتي⁽²⁾:

- التّضاد: $S_1 \neq 2S_2$ ، و $S_1 \neq 1S_2$.
- التّناقض: $S_1 \neq 1S_1$ ، و $S_2 \neq 2S_2$.
- التّضمن: $S_1 \neq 1S_2$ ، و $S_2 \neq 2S_1$.

(1) - ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص14.

(2) - المرجع نفسه، ص16.

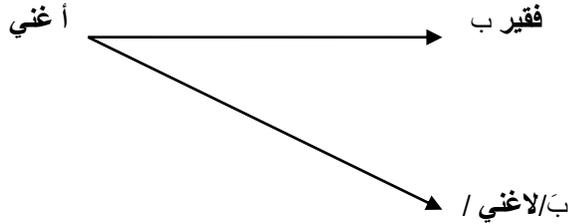
ولقد وضّحت "آن إينو" المربّع السّيميائي وضبطت مساراته من خلال تقديمها لمثال يبسط أطراف التّمودج التّكويني أو المبعّ السّيميائي لـ: "غريماس" كالاتي⁽¹⁾:

أ = غني

أ ≠ ب وتقرأ: ب = ضد أ = فقير.

أو ب = لا أ = لا غني/.

ويمكن توضيحه في الشّكل الآتي⁽²⁾:



-الصورة: (1)-

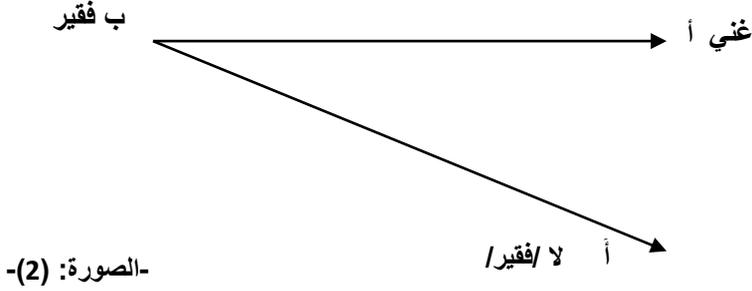
ولإنتاج (أ) كنقطة بداية نختار (ب) أيضا:

ب ≠ أ، لأن ب = فقير، ومنه أ = غني، و أ = لا فقير/.

(1)– Voir, Anne Hénault, les enjeux de la sémiotique introduction à la sémiotique générale, presses universitaires de France, Paris, 1979 p: 125.

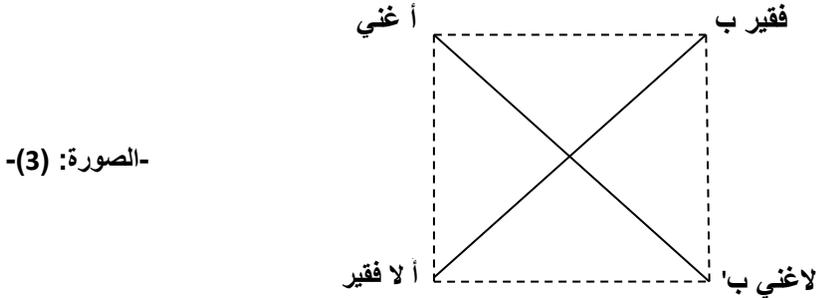
(2)– Ibid, p: 131.

ويمكن توضيحه في الشكل الآتي⁽¹⁾:



ومن خلال تقاطع الصورتين (1)، و(2) نتحصّل على الصّورة (3)

في الشكل الآتي⁽²⁾:



ومن خلال الصّورة (3) يتاطر المربع السّيميائي، وتحدّد "آن إينو"

الوضعيات والمسارات كالاتي⁽³⁾:

(1)– Voir, Anne Hénault, les enjeux de la sémiotique introduction à la sémiotique générale, p:131.

(2)– Idem.

(3)– Voir, Ibid, p:132.

2 = 2 × 2 وضعيات، و 6 = 3 × 2 مسارات.

2 مسارات الاتّصال/ الانفصال "أ" و "ب".

2 مسار اقضاء؛ أي $أ \neq ب$ / $ب \neq أ$ إذا كان غنيًا فلا يمكن أن يكون لا غنيًا في الوقت نفسه.

2 ◀ مسار اقتضاء ب- - - - ب/أ ← أ؛ أيّ حالة (الفقر) تقتضي سلفًا حالة (لا غنى) مثلًا، وهذه الصّورة للوضعيات والمسارات هي النّمودج الثّابت للدّلالة، ويمثّل صورة "الدّلالة البنيويّة" ل: "غريماس" (باريس 1966) وكقاعدة سردية "في المعنى" (باريس 1970)⁽¹⁾، ويلحق "غريماس" لهذه المسارات بعدين متميزين هما: (الصّدق، والكذب)، وهكذا يتبلور المرّج السيميائي لوجود الوضعيات والمسارات.

- البنيات العميقة (les structures profondes):

- الوحدات المعنوية الصغرى في الدّلالة (Les unités minimales de)
:(la signification)

إنّ المحلّ السيميائي يقف في دراسته للبنية السردية للكشف عن المعنى والدّلالة الكامنة في ثنايا النّص، والتي يمكن رصدها من خلال «الوحدات السردية في النّص والمؤطرة في شكل علاقات منطقيّة متداخلة هي حصيلة

(1) - Voir, Anne Hénault, les enjeux de la sémiotique introduction à la sémiotique générale, p:131 .

الاختلافات والتقابلات القائمة في صلب الخطاب»⁽¹⁾، ومنه يستلزم تتبّع حركيّة الدّالة في النّص لاستخلاص المعنى، ومن هذه الوحدات المعنويّة في النّص (السيم، والسيميم، و اللكسيم).

- السيمات (Les sèmes):

نكتشف المسارات السيميائية للصّور بمحاولة توضيح علاقة السيمات المتتابعة للصّور، فتتحدّد مجموعة من علامات دلاليّة صغرى أو وحدات معنويّة دنيا في الدّالة وهذه العلامات الصغرى تسمى سيم (Sème)⁽²⁾ «وتعرف السيمات بأثها وحدات معنويّة صغرى حيث أنّ الوحدة الأساسيّة للدّالة هيّ السيم أصغر عنصر معنوي لها الذي لا يمكن ظهوره إلّا إذا ارتبط في علاقة بعنصر آخر مغاير له، وظيفته خلافيّة، وعليه فلا يمكن إدراكه إلّا في إطار مجموعة عضويّة في إطار بنية»⁽³⁾، فالسيمات كما هو الحال بالنّسبة إلى الفونيمات في علاقتها بالفييمات* والمتواجدة على التّعبير في النّظام

(1) - ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص 91.

(2) - Voir, Groupe d'entrevernes, Analyse sémiotique des textes p: 166.

(3) - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص 91.

*الفييمات بمعنى الصّوامت التي مع الصّوائت تنتج الفونيمات، مفردها: الفونيم (Phoneme): وهو الصّوت اللّغوي. ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة نظم التحكم وقواعد البيانات، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002 ص303.

الفونولوجي لمدرسة براغ، حيث إنهما يصبان في مجرى واحد ووحيد هو حقل الألسنية، إلا أن الإشكال المطروح هو:

- كيف يمكننا التمييز بين الصّاعدين؟ يردّ "غريماس" على هذا الإشكال ويقرّ بوجود تشاكل (Isomorphisme) بين السّيمات والفييمات فكما أنّ الفييمات في تفاعلها مع بعضها البعض تنتج الفونيمات كذلك هو الحال بالنّسبة إلى السّيمات التي تنتج السّيميمات لكن الفارق بينهما نراه في الأبعاد النّظمية للفونيم التي لا علاقة لها بالسّيميم حيث ما يصدر عن تفاعل الفونيمات يشكّل مقاطع (Syllabes) في حين نجد تفاعل السّيميمات ينتج عنه ملفوظات دلالية⁽¹⁾.

- اللكسيم (Lèxème):

وتتحدّد صورة اللّكسيم في وجود العلاقة في (المسار السّيمي)، ويتحدّد هذا المسار السّيمي في إنتاج المعنى، وإنتاج المعنى يتم ضبط وتحليل مجموعة من علامات سيمية أو سيمات (Sèmes Sémiques au)⁽²⁾ ومنه يمكن تحديد ذلك كالآتي⁽³⁾:

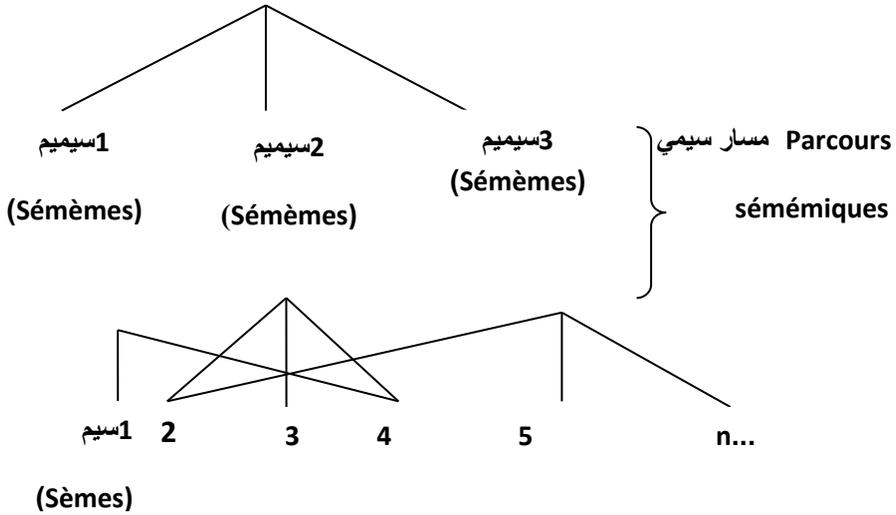
(1)- عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة نظم التحكم وقواعد البيانات، ص303.

(2)- Voir, Groupe d'entrevernes, Analyse sémiotique des textes

p: 118.

(3)- Ibid.

Figure (لكسيم) (لكسيم)
(Lèxème) Lexématique



ومن الكلّ يتّضح أنّ صورة اللّكسيم تكتمل بتظافر مجموعة من السّيميمات، وكلّ سيميم يقوم على وجود جملة من عناصر سيم تربطها علاقة، ومنه فإنّ «رصد صور اللّكسيمات التّصويريّة الخطابيّة تكمن في تصوّر لضبط حزمة منظّمة لنسق من العلامات في المعنى، وهذه العلامات تعرف أو تتحدّد بشكل خاص في صورة، وهذه الصّورة إمّا تشكّل لكسيم أو تشكّل خطابيّاً نحو سيم نواتي⁽¹⁾:

وعلى هذا الأساس فهناك نوعان من السّيم هما: السّيم النواتي (Sème nucléaire)، والسّيم السّياقي (Sème contextuel)، فالأول

(1)- Voir, Groupe d'entrevignes, Analyse sémiotique des textes
p: 120.

هو أساس المكوّن الخطابى المجدّد للصّور والتجمّعات الخطابيّة التي تأخذ شكل سيمات للمعنى ويسمّيها "غريماس" بالسّيمات النّواتيّة، مثل صورة (قمة الجبل) لها سيمات نواتيّة هي: /شاقولي/+ /منته/+ /مرتفع/+ /شامخ/، فتشكّل ما يسمّى المستوى السّيميائي للمعنى، والثّاني السّيم السّياقي أو الكلاسيم ينتج عن تفاعل الصّور في الخطاب انعقاد لتعالق أو تراسل بينها تعرف في السّياق بمعالم لسيمات عامّة تدعى بالسّيمات السّياقيّة أو الكلاسيم من خاصيّتها طاقتها النّوليدية بحكم إحالتها على أقسام عامّة مثل: (حياة/ موت)، (إنساني /حيواني)، وتتغيّر دلالتها بتغيّر القسم الذي ينتمي إليه والسّياق الذي يرد فيه، ومثل كلمة (عظيم) التي تأخذ معاني مختلفة بحسب السّياق الذي ترد فيه مثال: (صدق الله العظيم) مؤشّر إلى العبادة والإيمان بالله -جلّ جلاله- أيّ الجانب الدّيني العقائدي، ومثال: (شاهدت ناطح سحاب عظيما) فيضمن دلالة على فنّ العمران، ومثال: (زلزال عظيم) فهو دلالة على طبيعة جيولوجيّة وإلى غيره من المعاني المختلفة بحسب السّياق، فتشكّل السّيمات السّياقيّة ما يسمّى في المستوى الدّلالي للمعنى بالسّيمات النّواتيّة⁽¹⁾.

- التّشاكل والتّباين:

تقوم النّظريّة على جملة من المفاهيم التي تستخدم في تحليل النّصوص للكشف عن المعنى، ومن هذه المفاهيم التّشاكل والتّباين، «فالتّشاكل في المفهوم السّيميائي الغربي آت في أصل الوضع من جذرين يونانيين أحدهما

(1)- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص 94، 95.

هو (isos)، ومعناه يساوي أو مساوي، والآخر هو (Topos)، ومعناه المكان ومع مرور الوقت أصبح هذا المصطلح يطلق توسعا على الحال في المكان من باب التماس علاقة المجاورة أو علاقة الحالّية ذاتها»⁽¹⁾.

ويعتبر أول من نقل مفهوم التشاكل هو "غريماس"، وذلك من ميدان الفيزياء إلى ميدان اللسانيّات، وقد احتل هذا المفهوم في الاتجاه (السيمياي البنوي) مكانا هامّا واستعمل كمفهوم إجرائي في تحليل الخطاب وإذا كان "غريماس" قد قصره على تشاكل المضمون في كتابه (الدلالة البنويّة) فإن "فرانسوا راسنيه" قد عمّمه ليشمل التّعبير والمضمون معا؛ أي أنّ التشاكل يصبح متنوعا بتنوع مكونات الخطاب بمعنى أنّ هناك تشاكلا صوتيّا، وتشاكلا نبريّا، وإيقاعيّا، وتشاكلا منطقيّا، وتشاكلا معنويّا⁽²⁾، ومنه عرف المصطلح شيوعا في الدّراسات النّقدية «ولئن كان "غريماس" صاحب السّبق لتبني هذا المصطلح في الدّراسات اللّغويّة فإنّ للمصطلح إرهاصات سابقة في الدّرس العربي من طرف بلاغيين حاموا حول المفهوم دون أن يلامسوا جوهره ولّبّه حيث نظروا إلى هذا المفهوم تحت مصطلحات مختلفة أهمّها: (الطباق والمقابلة، واللفّ، والنّشر، والجمع، والتّوريّة...)⁽³⁾». وإن كان مفهوم «التشاكل عند "غريماس" هو مجموعة متراكمة من المقولات المعنويّة فإنّه عند "فرانسوا

(1) - فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 235.

(2) - ينظر: نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث (تحليل الخطاب الشعري والسردية)، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج 2، دت، ص 18.

(3) - ينظر: فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 236.

راستيه" يعرف بأنه كلّ تكرار لوحدة لغويّة مهما كانت، وهذا التّحديد يشير إلى أنّ التّشاكل لا يحصل إلّا عند تعدّد الوحدات اللّغويّة المختلفة، ومعنى هذا أنّه ينتج عن التّبّايين، فالتّشاكل والتّبّايين لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر»⁽¹⁾، «أمّا جماعة (Mu) فإنّها قد حددت مفهومها للتّشاكل فيما يلي: (تكرار مقنّن لوحدات الدّالّ نفسها (ظاهرة أو غير ظاهرة) صوتيّة أو كتابيّة أو تكرار لنفس البنيات التّركيبيّة (عميقة أو سطحيّة)»⁽²⁾، (...). إنّ هذه الجماعة (Mu) وضعت في اعتبارها كلّاً من القاعدة المعنويّة والقاعدة التّركيبيّة المنطقيّة، يضرب لنا "محمد مفتاح" أمثلة توضّح الاختلاف بين هذه المدرسة وبين "غريماس" - (اللّيل هو النّهار) تشاكل عند "غريماس" لاحتوائه على مقومّ جامع بينهما، وهو مقياس (الزّمان)، ولا تشاكل فيه عند الجماعة للتّناقض التّركيبي المنطقي⁽³⁾.

فالمعنى من حيث هو إيقاع يتراوح بين سكون الأسلوب وحركته في قانون التّبّايين، والاختلاف ولا غرو أنّ تتطر "جماعة أنتروفرن" (Groupe D'Entreverne) المخلصة لسيميائيّات "غريماس" المحايثة، ومدرسته في الدّلالات البنيويّة، والسّرديّات السّيميائيّة إلى المعنى في منطلق قائم على التّبّايين، فهي تتمثّل في (الوصف الواسع للقوانين العامّة لإنتاج المعنى

(1) - ينظر: نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث

(تحليل الخطاب الشعري والسردى)، ص 18.

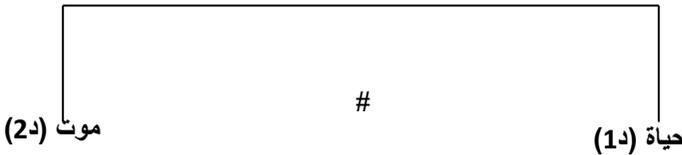
(2) - فيصل الأحمر، معجم السيميائيّات، ص 238.

(3) - المرجع نفسه، ص 238.

الإنساني)، ومن هنا ينفلت المعنى من العلامة ليندسّ في ثنايا العلامات
المخصوصة مثل: (الرّموز، والإشارات، والأيقونات، والقرائن، والمؤشّرات
والأدلة، والبراهين، والحجج)⁽¹⁾.

فإدراكنا للمعنى يتمّ بوجود المضاّد له «فنحن ندرك الأشياء في ضوء
ما يقابلها تلك هي خصوصيّة العقل الاستنباطي الشّاملة للمعرفة الإنسانيّة
فكما لا يحصل الحضور إلا بمقابلته للغيّاب، كذلك يدرك معنى الحياة بمقابلته
للموت، ومعنى الموجب بمقابلته للسّالب والدنيوي بالأخروي»⁽²⁾ (...) تعدّ فكرة
الأضداد الثنائيّة البنية الأساسيّة للدّلالة غير أنّها تقتضي وجود نقطة مشتركة
بين تقابل سيمين محققين لثنائيّة ما للتضاد نسمّيها المحور الدّلالي
(Sémantique axe).

وجود (د)



(1) - أحمد يوسف، السيميائيات التّأويلية وفلسفة الأسلوب، مجلة عالم الفكر السيميائيات
إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 03، المجلد 35، يناير
(مارس)، 2007، ص66.

(2) - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص98.

فما ينجم عن تقابل الحياة والموت هو المحور الدلالي: (الوجود) وعن دلالة ثنائية (الدنيوي/ الأخروي)، محور (الديني)، بينما تجتمع ثنائية الموجب والسالب في محور العلامة- الرياضية مثلا⁽¹⁾: وما ينتج عن علاقة السيمين المثبتين في الشكل بين (د1) و(د2) هي علاقة (تضاد) في حين نجد العلاقة بين (د1) و(د) أو بين (د2) و(د) هي علاقة تراتبية تدرجية (Relation hiérarchique).

2- مرحلة المشاريع وسيميائية الأهواء:

2-1- البعد الاستهوائي:

انشغل السيميائيون مدة طويلة بمعنى العمل، أو حالة الأشياء (موضوع سيميائية العمل)، وخلال العقود الأخيرة أصبحوا يولون أهمية لمعنى الهوى أو الحالة النفسية (موضوع سيميائية الأهواء) إضافة إلى أن العامل يعمل فهو يحسّ ويحتاج إلى الحالتين معا لإثبات وجوده، والصدع بمشاعره ومواقفه وإدراك مبتغاه والتأثير في الآخرين، وإذا كانت سيميائية العمل قد بلورت مع مرّ السنين عدّة مفاهيم وراكمت تراكمات نظرية وتطبيقية فإنّ سيميائية الأهواء -على الرّغم ما قطعتة من أشواط وسرقتة من أضواء- مازالت تبحث عن تعزيز مكانتها داخل النظرية السيميائية العامة، وتحصين تراكماتها ونتائجها للتدليل على استقلالية البعد الانفعالي على المستوى النظري والتطبيق

(1) - نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص98.

على حدّ سواء، ويعرف هذا الصنف من السيميائيات بأسماء أخرى على نحو السيميائية التوتريّة والسيميائية الاتصاليّة وسيميائية المحسوس⁽¹⁾.

فالنظريّة السيميائية عرفت بذلك انتقالاً من مرحلة المكاسب (سيميائية العمل) إلى مرحلة المشاريع (سيميائية الأهواء)، إذ «ساهمت المدرسة الفرنسيّة في السيميائيات بقيادة اللتواني الأصل "الجرداس جوليان غريماس" بفاعليّة في انفتاح المنهج السيميائي على علوم شتّى، كما عملت أيضاً على تجديد النّظر إلى التجربة الإنسانيّة برمّتها، وقد سارع أتباع "فونتاني" الذي طوّر مع "غريماس" نظريّة من صميم النّفس الإنسانيّة عرفت في النّصّور الباريسي بسيميائيات الأهواء، وهي منهج مستحدث في دراسة الأهواء للانتقال من دراسة حالات الأشياء إلى حالات النّفس، وهو نفسه عنوان كتاب أنجزه "فونتاني" و"غريماس" صدر عام (1991) (سيميائيات الأهواء: من حالات الأشياء إلى حالات النّفس)⁽²⁾. (Sémiotique des passions Des états .dechoses aux états d'âme).

وقد تمّ الانتقال بفعل هذا النّصّور الجديد من البناء التّحوي الصّارم لمفهوم العامل إلى بناء مرّن يأخذ بعين الاعتبار النّفس البشريّة، كون الأهواء

(1) - ينظر: محمد الداوي، سيميائية الأهواء، مجلة عالم الفكر السيميائيات، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 03، المجلد 35، مارس 2007 ص213.

(2) - ينظر: عبد المجيد، دراسة قصة "أغنية هاربة" للفاصل صالح السهيمي، / [http :la](http://la.bid, elaphblog.com)

العامل بمختلف ميوله النفسية المتعددة من مشاعر وأحاسيس ورؤى وجدانية مخصصة كاشفا للبعد الانفعالي في تحديد الواقعة السردية وتحليلها وتقويمها تقويما ينسجم وطبيعة البنية النفسية للعامل وهو يعمل، ومن ثم أصبح الاعتماد أساسا على الخطاب في أبهى تجلياته التداولية التي تضع مختلف الشروط المقامية في التعامل مع الوقائع الإنسانية ومنها النفس⁽¹⁾، فقد «استقطبت الأهواء مجالات عديدة، بحكم أنها تمس جانبا أساسيا وحيويا في حياة الإنسان وهو ما يتعلّق بحالته النفسية، وما ينتابها من مشاعر وإحساسات متأرجحة بين اللذة والألم»⁽²⁾. وتندرج سيميائية الأهواء في سياق المشروع النقدي الذاتي للنظرية السيميائية، فالاهتمام بالبعد الاستهوائي بعد حصر البعدين التداولي والمعرفي يأتي ليملاً بعض بياضات النظرية السيميائية الأساس إنّ ظهور إشكالية الأهواء، والعواطف الإنسانية في فضاء الصرح السيميائي قد أعاد مباشرة الاعتبار إلى الحياة الداخلية للذات بعدما تمّ استبعادها تحت إكراهات الخلفية البنيوية لذا فقد فرضت مقارنة هذا البعد من الناحية الإجرائية، إعادة تشكيل النموذج التوليدي لأنّ (التشكلات الاستهوائية تتموقع في ملتقى

(1) -ينظر: عبد المجيد، دراسة قصة "أغنية هاربة" للقااص صالح السهمي، / <http://la.bid/>, elaphblog.com.

(2) - محمد الداوي، هندسة الأهواء في رواية الضوء الهارب لمحمد برادة، مجلة ثقافات بحرين، 2004، 00: 10-04/08/04، [Thaquafat ar,side.15/08/04-10](http://Thaquafat-ar.com)

كلّ محافل المسار التّوليدي للدّالة فتمظهرها يقتضي بعض الشّروط، والشّروط القبلية الخاصّة ذات الطّبيعة الابيستمولوجية وكذلك بعض عمليّات التّلفظ»⁽¹⁾.

إنّ الانفتاح على الأهواء قد وجه عمليّة التّقويم الابيستمولوجي بالضرورة إلى مساءلة الجهاز المفاهيمي للنّظريّة الأساس في كليته ومن بين مفاهيم هذا الجهاز الرّئيسي التي تغيّر وضعها الابيستمولوجي بقدم هذا الوافد الجديد (الأهواء) مفهوم الاتّصال (Continu)، والانفصال (Discontin) (...) فالانفصال أو الانقطاع يرتبط بسميائية العمل ويتمظهر من خلال التّركيز على تحوّل الحالات، أي الانتقال من حالة إلى أخرى حيث يشكّل ذلك شرطاً أساسياً للتّركيب⁽²⁾؛ حيث نجد شكلان للتّحوّل في البرنامج السّردّي الاتّصالي والتّحول الانفصالي، وأمّا في سيميائية الأهواء فنجد ثنائية الاتّصال والانفصال من خلال علاقة الذات بثنائية التّفصية والتّزمين، حيث يودّي انفصال الذات عن فضاء معيّن تشكيل حالة نفسية لديه كما قد يودّي اتّصاله بفضاء آخر له في توتيره وبنفس الشّيء الزّمان فمع انفتاح الدّائرة واتّصال الذات بفترة معيّنة قد توتّر فيه نفسياً كما يودّي عدم التّذكّر ونسيان حادثة ما بالانفصال الزّمني (الماضي) بتغيير حالة الذات وهذا نوضّحه أكثر في الدّراسة التّطبيقية من الدّراسة.

(1) - محمد بادي، سيميائيات مدرسة باريس المكاسب والمشاريع (مقاربة إبيستمولوجية)

مجلة عالم الفكر السيميائيات، العدد 03، المجلد 35، الكويت، مارس، 2007، ص 303.

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص 307.

فسيميائية الأهواء جاءت لملء البياض الذي تركته سيميائية العمل إذ أنّ «سيميائية العمل بتركيزها على مفاهيم الحالة والعامل والتحويل كونها شروطاً لقيّام التّركيب، تكون قد أغفلت إمكانيات مفهوم الحالة الذي أفرغته من طاقاته الحيويّة، فالحالة قد تشكّل في المقابل بالنّسبة إلى الذات الفاعلة بداية أو نهاية للفعل فهناك مثلاً (حالة الأشياء) العالم التي يتمّ تحويلها بواسطة الذات، وهناك (الحالة النفسية) للذات المؤهّلة في انتظار الفعل، يؤثّر هذا الحديث على إمكان فكّ لغز الانتقال من حالة إلى أخرى في سيميائية العمل بالاعتماد على توسّط (الجسد المدرك) بين الذات والعالم»⁽¹⁾؛ بمعنى إذا كانت سيميائية العمل تهتم بعلاقة الذات والموضوع فإنّ سيميائية الأهواء تهتم بعلاقة الذات بالعالم الخارجي حيث أنّه يمكن للأشياء وما في المحيط الخارجي أن يؤثّر على الذات أثناء الفعل أو قبل القيام بالفعل، فإذا كان العامل الذات في سيميائية العمل يقوم بالإنجاز والتنفّذ لتحقيق الموضوع محققاً العلاقة بين الذات والموضوع، فإنّ عامل الذات خاضع لبعد استهوائي في عملية الإنجاز، وذلك من خلال علاقته بالعالم الخارجي، إذ يصبح هذا الأخير عاملاً مؤثراً وموعزاً للذات الاستهوائية نحو تحقيق الموضوع، ومنه بدأ التأسيس لمشروع سيميائية الأهواء التي تقوم على جملة من المفاهيم كالخطاظة الاستهوائية والنّمّوج الاستهوائي، وبعض المفاهيم التي سنحاول الوقوف إزاءها بالدراسة التّطبيقية في ثلاثيّة "حكاية بحار" لحنا مينة.

(1) - ينظر: محمد بادي، سيميائيات مدرسة باريس المكاسب والمشاريع (مقاربة إبستمولوجية)، ص 307.

وقبل ذلك يجدر بنا تحديد وضبط مفهوم الأهواء، والوقوف على التّأصيل النّفسي لسيميائية الأهواء، ثمّ ضبط البعد المعرفي والتّداولي وعلاقتها بالبعد الاستهوائي.

2-2- مفهوم الأهواء بين علم النفس والسيميائية:

يمكن استخلاص الأهواء من الملفوظ السّردي إذ يؤخذ اللفظ كعلامة دالة ومؤشّر للكشف عن الجانب الشّعوري للذّات «وتكون هذه العلامة أدواتنا في الكشف النّاطق في النّفس البشريّة والتي لا ترى بالعين المجرّدة فالمرء منها هو تجلّ يكشف عن وجود انفعاليّة بلا هويّة ولا حدود ولا معنى فالإحساس سابق في الوجود على التّجلي الدلالي السّابق على أيّ تمفصل سيميائيّ، وهو بذلك يولد خارج حدود الخطاب (...) إنّ هذا الإحساس لا يمكن أن يصبح مرئيّاً إلّا من خلال تجزيئه وتحويله إلى وحدات للعزل والتّمييز فهي ما يطلق عليه في اللّغة العاديّة: (الهوى، والاستعداد، والشّعو، والميل والحبّ، والكراهيّة)⁽¹⁾، وقد يتداخل مفهوم هذه الوحدات كالتّداخل الوارد بين الانفعال والعاطفة، والشّعور، والهوى ويمكن توضيح ذلك كالآتي:

1- **الانفعال:** وهو حالة نفسيّة تحدث نتيجة لمثير خارجي أو داخلي يؤدي إلى اضطرابات عامّة يشمل الفرد كلّه وقد تظهر من خلاله علامات الرّضا

(1) - سعيد بنكراد، السيميائيات النشأة والموضوع، مجلة عالم الفكر (السيميائيات) إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 03، الجلد 35، 2007، ص 10.

والسّرور أو الحزن، أو حالات الغضب والخوف، ونستطيع تفسير ذلك تبعاً لأشكال الانفعال وهي⁽¹⁾:

- عنيف ومؤقت سريع الظهور والزوال كالهيجانات وهي الغضب والفرح والخوف.

- هادئ يدوم طويلاً يستحوذ على النفس ويصبح موجّه للسلوك كالعاطفة وهي الصداقة والحزن والحبّ والحنان والخجل.

2- **العاطفة**: انفعال هادئ يدخل النفس ببطء وهدوء ثمّ ما يلبث أن يستحوذ على النفس كلّها ويصبح موجّه للسلوك ووصفت العاطفة بالجدول الذي يحفر مجراه كالحبّ والحزن في العاطفة يكون الانفعال دفيناً غير بادٍ للعيان ولكنّه لا يلبث أن يظهر لمجرد حادث أو نبأ يسمع به⁽²⁾. وتؤثر العاطفة في السلوك في جوانب مختلفة من الحياة النفسيّة كالالتفكير والتذكّر والاعتقاد والمعاملة، ويمكن توضيح ذلك كالاتي⁽³⁾:

أ- **أثر العاطفة في التفكير**: تؤثر العاطفة في توجيه أفكارنا سواء أكانت أفكاراً شاردة كما في أحلام اليقظة أم أفكار موجّهة في التأمل والتفكير، فالمتفائل يرى العالم مزروعاً بالورود والمتشائم يراه مزروعاً بالأشواك.

(1) - أنس شكشك، علم النفس العام، القوى النفسية المعرفية والقوى النفسية المحركة للسلوك دار النهج للدراسات والنشر والتوزيع، حلب، سوريا، ط1، 2008، ص 71.

(2) - المرجع نفسه، ص 77.

(3) - المرجع نفسه، ص 78.

ب- **أثر العاطفة في التذكر:** إنّ التّأثير بالعاطفة واضح في عمليّة التّذكّر وتوجيه نشاط الذاكرة، ففي حالات الحزن نميل لاسترجاع أيّام الشّقاء والتّعاسة والهّمّ والغمّ، وفي حالات الفرح نميل لاسترجاع كلّ ما يبعث على الأمل ولا نرى في العالم غير الجمال والإشراق وللعاطفة أثر كبير في عمليّة الحفظ فهيّ تسهّل وتنبّت معلومات وخبراتنا في الذاكرة وتساعد على استعادتها وقت الحاجة ببسر وسهولة.

ج- **أثر العاطفة على الاعتقاد:** الحوادث السّارة التي نتمنّاها نتوقّع حدوثها ونعتقد بحتميّة وقوعها، والخوف من أمر مكروه يجعلنا نستبعد وقوعه.

د- **أثر العاطفة في المعاملة:** نميل إلى التّساهل والعطف في حالة الارتياح والرّضا، ونميل إلى التّعسف والقسوة في حالة الانزعاج والسّخط فكأنّنا ننظر للآخرين من خلال عواطفنا لا من خلال واقعهم، وهذا يؤدّي إلى تأثير العاطفة في الحكم الخفي إذ إنّها تجعلنا نصدر أحكاما خفيّة تعمينا عن سيّئاتنا وسيّئات أحبّابنا ولا تجعلنا نرى في أعمال أعدائنا حسنة واحدة⁽¹⁾.

3- **الشّعور:** هو حدس الفرد لحياته الشّخصيّة ويتضمّن هذا التّعريف المعرفة المباشرة للأشياء أي معرفتنا بالذّات معرفة تتعلّق بأحوال عالمنا الدّخلي من فرح وحزن وتفكير وتصميم، والشّعور مرتبط بموضوع، فما من شعور فارغ وأنّ الشّعور ممتلئ بموضوع فنحن لا نشعر بالفرح بمعزل عمّا يثير فرحنا

(1) - أنس شكشك، علم النفس العام، القوى النفسية المعرفية والقوى النفسية المحركة للسلوك

ولا بالغضب بمعزل عما يثير غضبنا⁽¹⁾، والشّعور لا يكون بدرجة واحدة وهذا يعني أنّ الشّعور درجات ولطالما شبه علماء النفس الشّعور بالعدسة التي تعكس النور فكّما اقترب الموضوع من مركز الشّعور، أو من بؤرته ازداد وضوحاً وكّما ابتعد عنه صار هامشيّاً وقلّ وضوحه، ودرجات الشّعور هي⁽²⁾:

أ- الشّعور العفوي: خاليّاً من الجهد العقلي وهو الانطباع الأوّل الذي ينطبع به الفرد بتأثير حالاته النفسيّة، فنحن نكتب يكون شعورنا عفويّاً لسماع زقزقة العصافير مثلاً.

ب- الشّعور التأملي: العودة إلى الانطباع الأوّل الذي خلّفه الشّعور في سبيل تأمّل الأثر فالشّعور التأملي لا يقف عند حدّ سماع دقّات السّاعة أو زقزقة العصافير أيّ أنّنا نسمع ونصنّف الأصوات التي نسمعها وهذا ما يسمّى بالشّعور الواعي.

ج- ما تحت الشّعور أو ما قبل الشّعور: وهو العمليّات الذهنيّة المخزّنة على هامش الشّعور والتي يمكنها التّدخّل عند الحاجة وبذلك فالشّعور عموماً هو الجانب الواعي في الشّخصيّة الإنسانيّة يمثل "الأنا" أو "ذات الفرد" المتّصلة بالواقع.

(1) - أنس شكشك، علم النفس العام، القوى النفسية المعرفية والقوى النفسية المحركة للسلوك ص 56.

(2) - المرجع السابق، ص 56، 57.

4- الهوى: تقابل كلمة (هوى) في اللغة الإنجليزية مصطلح (Passion vilain)، وفي اللغة الفرنسية لفظة (Passion) من دون إضافة نعت (الشنيع Vilain)، وتلتقي اللفظة الفرنسية، واللفظة الإنجليزية في بعض معانيهما مع كلمة الهوى العربية، إذ يقصد بها عاطفة عاتية تستبدّ بالعقل فتقوّضه. لكن اللفظة المستخدمة في اللغة الفرنسية تتضمن معنى شاملاً يحوي كلّ ما يدخل في إطار الحالة العاطفية، ومظهرها، وأمّا في اللغة العربية فلفظة (هوى) تحمل كلّ ما يتعلّق بالعواطف، والأحاسيس مذموماً كان أو محموداً⁽¹⁾ أمّا في علم النفس فإنّ «الهوى عاطفة نمت على حساب غيرها من العواطف فالهوى يجعلنا نرى كلّ شيء من خلاله»⁽²⁾، وقديماً قالت العرب (حبك الشّيء يعمي ويصمّ) والمقصود بذلك الحبّ الذي تحوّل إلى هوى، إذ يقول "بن حزم الأندلسي" في كتابه (طوق الحمامة): «أنّ الحبّ أعزك الله أوله هزل وآخره جدّ»⁽³⁾. ونجد "أبي المنصور الثعالبي" في كتابه (فقه اللغة وسرّ العربية) يقول: إنّ أوّل مراتب الحبّ الهوى وكما يضبط درجات الحبّ وترتيبه⁽⁴⁾ والهوى في ميدان علم النفس هو دافع يحرك صاحبه وعاطفة لأنّه انفعال طويل الأمد

(1) - ينظر، محمد الداوي، سيميائية الأهواء، ص 219.

(2) - ينظر: أنس شكشك، علم النفس العام، القوى النفسية والمعرفية والقوى النفسية المحركة للسلوك، ص 80.

(3) - ينظر: أبي محمد علي بن حزم الأندلسي (ت 456هـ)، طوق الحمامة في الألفة والألاف، دار الأريب، بيروت، لبنان، ط 1، 2010، ص 21، 10.

(4) - ينظر: أبي منصور الثعالبي (ت 430 هـ)، فقه اللغة وسرّ العربية، تحقيق: فايز محمد دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1999، ص 139.

وهيجان لأنّ تأثيره عنيف وشديد وهو أكثر من ذلك ظاهرة نفسية كلية تبدل من عالم الشخصيّة بأكملها كهوى البخل والحبّ»⁽¹⁾.

ويبدو أكثر الهوى في الفعاليّة فهو من ناحية يزود صاحبه على العمل إلاّ أنّه تنقصه الإرادة، فالإرادة هيّ سيطرة على الدّات ومقدرة على العمل المتوازن في حين الهوى خلاف ذلك تماما، فصاحب الهوى يخضع للإجاءات إنّ فكرة لا تكاد تأتيه من الخارج حتّى تبدأ بالنّمو خارجة عن إرادته وعلى الرّغم منه، فتجعله يقوم بأعمال غريبة عنه، إنّ صاحب الهوى لا يتصرّف من نفسه بل إنّ هناك شيئا يتصرّف به تدفعه قدرة جبريّة مسيطرة لا يمتلك شيئا ليدفعها وكما يبدو هو أثر الهوى في الشخصيّة فإذا كان الهوى ينتهي إلى انعدام التّوازن فهذا يعني أنّه ينتهي إلى اضطراب الشخصيّة ويجعلها تدور على محور مخالف لمحورها الأصليّ إنّ صاحب الهوى هوّاه يتحكّم به لأنّه يظلّ خارج ذاته لا يمتلك ذاته وهذا يصحّ على أصحاب الأهواء السّامية والوضعية⁽²⁾.

ولذلك كان الهوى محطّ اهتمام السّيميائيّين، فقد خصّص "غريماس" دراسة لهوى الغضب بوصفه تكثيفا لبنى الخطائيّة وضربا لنماذج توقعية انطلق "غريماس" من شرح معجميّة الغضب فاستخلص منها برنامجا حكائيّا مكوّنا من المراحل الآتية:

(1) - ينظر: أنس شكشك، علم النفس العام القوى النفسية والمعرفية والقوى النفسية المحركة للسلوك، ص 80.

(2) - ينظر، المرجع نفسه، ص 81، 82.

(الحرمان ← السخط ← العدوانية). ووضع "غريماس" هوى الغضب في إطار دلاليّ أوسع يشمل بعضاً من مرادفاتها على نحو (الكآبة والحقد، والإهانة)، وبين أنّه لا يتحدّد في علاقته مع الموضوع (على نحو هوى البخل)، وإنّما في علاقته مع طرف آخر (المسؤول على الفشل والحرمان الطّرف الأوّل)، ويفضي برنامج الغضب إلى برنامج آخر يتعلّق بالانتقام ويتطلّب من الغاضب أن يتسلّح بجهة إمكان الفعل لإثبات ذاته وتتحية الطّرف الآخر⁽¹⁾. فاهتمّ "غريماس" بالحالة التّفسيّة للذّات المنجزة كما اهتمّ بالفعل في سيميائية العمل، وعليه فقد ذكر "جاك فونتاني" اختصاصيين يهتمّان بالجانب الشّعوري، وهما علم النّفوس أو التّحليل النّفسي وسيميائية الأهواء وهذه الأخيرة تسعى لإثبات العناصر الآتية:

- 1- ينبغي مراعاة الجانب الشّعوري في المسار العاملي فإلى جانب أنّ العامل يعمل فهو يحسّ، ويشعر (يجب إذن) أن يكون العامل الحكائي مرفقا بالعامل الحسي (الإحساس).
- 2- تؤخذ الرّدود الجسديّة (Somatiques) مأخذ الجدّ لكونها تجسّد ما ينتاب الذّات من أحاسيس، ومشاعر، وذلك على نحو احمرار الوجه أو شحوبه واصطكاك الأسنان، وارتعاد الفرائص.
- 3- تتكوّن الخطاطة الاستهوائية من مراحل تبيّن تدرّج الهوى من المستوى العميق إلى المستوى السّطحي⁽²⁾. ومراحل الخطاطة الاستهوائية هي:

(1) - ينظر: محمد الداوي، سيميائية الأهواء، ص 236، 235.

(2) - ينظر، المرجع نفسه، ص 236.

(الانكشاف الشعوري والاستعداد والمحور الاستهوائي، والعاطفة، والتقويم الأخلاقي)⁽¹⁾، ويمكن توضيحها كالاتي:

1- الإنكشاف الشعوري (Léveil affectif): وهو مرحلة متعلّقة بالذات توضح الحالة الشعورية مرتبطة بحدث كمؤثر يدفع لحضور الشعور⁽²⁾ فينكشف شعور الذات فتعبّر عمّا ينتابها داخليًا من أهواء وتمثّل هذه المرحلة بروز الذات الاستهوائية في الخطاب إذ تصبح في حالة الشعور بهوى معين⁽³⁾.

2- التأهب / الاستعداد (La disposition): وهو مرحلة تحديد الذات لنوع الهوى فتقدّر الكفاءة⁽⁴⁾، إذ توفرّ الذات على المؤهلات الضرورية للتعبير عن هوى معين⁽⁵⁾.

3- القطب الاستهوائي (Le pivot passionnel): وهو مرحلة أساسية إذ يعرف الذات معنى الاضطرابات التي يشعر بها⁽⁶⁾، وكما تدرك القيم الانفعالية التي كانت موضوعها لها في المرحتين السابقتين⁽⁷⁾.

(1) - محمد الداوي، سيميائية الأهواء، ص 236.

(2) - voir, Jacques Fontanille, Sémiotique et littérature, Essais de méthode, Imprimerie des presses universitaires de France, 1999 p: 79.

(3) - ينظر: محمد الداوي، سيميائية السرد بحث في الوجود السيميائي المتجانس، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2009، ص104.

(4) - voir, Jacques Fontanille, Sémiotique et Littérature, p: 80.

(5) - محمد الداوي، سيميائية السرد بحث في الوجود السيميائي، ص105.

(6) - voir; Jacques Fontanille; Sémiotique et Littérature; p: 80.

(7) - محمد الداوي، سيميائية السرد بحث في الوجود السيميائي المتجانس، ص105.

4- العاطفة (L'émotion): تبين هذه المرحلة ردود فعل الجسد إزاء الإحساسات المحزنة أو المبهجة، وفي هذه الحالة تصبح العاطفة حدثاً استهوائياً قابلاً للملاحظة والتقويم⁽¹⁾.

5- التقويم الأخلاقي (La moralisation): تُقوّم الأهواء من منظور جماعي لبيان موقعها داخل إطار سوسيوثقافي (موقف ثقافة معينة من الحب) أو من منظور فردي لكون المقوم نفسه يعدّ جزءاً من المشهد الاستهوائي (موقف الغيور)⁽²⁾.

ولعلّ هذه المراحل تساعد المحلّل السيميائي للكشف عن التدرج الاستهوائي في تصاعده لتحريك عامل الذات نحو الإنجاز، والكشف عن المستوى الداخلي العميق للذات .

1- وفي دراسة سيميائية الأهواء نجد "باريت" قد استفاد من "غريماس" في تحليل هوى الغضب ليوضّح مسألة توالد الأهواء حيث انطلق من سؤال جوهرى يتمثل في البحث عن كيفية تولد الأهواء، فاستنتج مقاربتين منهجيتين اعتماداً على تحليل هوى الغضب إحداهما تهتمّ المركبية الإنجازية (La Syntagmatique Performatielle) التي تقوم على تتابع الأهواء في إنجاز حقيقي (ما قام بها آلان Alain) أو مثالي (ما اضطلع به طوماس الأكويني Thomas d Aquin)، وثانيتها تخص المركبية التّمظهرية (La Syntagmatique Configurative) التي تحلّل التّمظهرات الاستهوائية بوصفها محكيّات صغرى تتمتع بتنظيم تركيبى دلالي مستقلّ وقادر على الاندماج في متواليّة خطابية أكثر شمولاً (ما أنجزه ألبير داس جوليان

(1)- محمد الداوي، سيميائية السرد بحث في الوجود السيميائي المتجانس، ص105.

(2)- المرجع نفسه، ص ن.

غريماس (J.Greimas)، انطلاقاً من هاتين المقاربتين يرى "باريت" أنّ المشكل المطروح لا يكمن في وصف تتابع الأهواء بطريقة تجريبية أو بنائية جديدة وإنما في تبين مبادئ تولد الأهواء، وهذا ما يقتضي في نظره التخلي عن الهاجس الثقافي الضيق (الخصوصيات والإحياءات الثقافية) للبحث عن معايير تعميم الأهواء، وفيما يلي بعض الأسس التي يقوم عليها تولد الأهواء⁽¹⁾:

- 1- إعادة التوازن بين القيم الانفعالية وبين حدّة توترها.
- 2- رصد الذات إبان تحقّقها ودخولها في تفاعل مع ذات مُنافسة لتبادل مختلف الأدوار العاملة.
- 3- تبدل البنية الجهية المضمرة في المسار الاستهوائي.

وكما ينبغي على المحلّل السيميائي الاهتمام بالتلفظ في بعده الخطابى أيّ كأثر للتلفظ وليس كذات ما قبل خطابية ومنه تتشخّص في الخطاب مؤشّرات تلفظية (المعيّنات والجهات وأفعال الكلام) وعلامات دالة على الأهواء⁽²⁾. ومنه «فالأهواء عملية في الخطاب حاملة لمختلف خصائص المعنى الخارجة للمعرفة المبهمة الصعبة إلى نهاية الفهم أو التفسير وعليه إنّ التّأويل السيميائي هو عطر نوعي ينبعث من الأدلّة الخطابية للبنيات

(1) - محمد الداوي، سيميائية السرد بحث في الوجود السيميائي المتجانس، ص 84.

(2) - المرجع نفسه، 85.

النموذجية...»⁽¹⁾ ولإدراك مفاهيم سيميائية الأهواء وأدواتها الإجرائية سنتطرق لها بالتفصيل والدراسة في الجانب التطبيقي.

2-3- البعد الدلالي والتداولي (عملي):

يرتبط الكشف عن الدلالة بالجانب التداولي للوصول إلى المعنى سواء من خلال الوحدات أو الجمل اللسانية، «ويرى في ذلك "ج. فونتاني" (1989) أنّ كلّ مقال نصي يتضمّن ثلاثة أبعاد على الأقلّ هي: بعد عملي أو تداولي هو متواليّة ملموسة وقابلة للتّمكّن من دلائل اللّغة ومركباتها، وبعد معرفي (ينقل أو يتداول معرفة معيّنة، وبعد عاطفي أو استهوائي (يستهدف المرسل إليه) وكما يجري التّركيز على البعد المعرفي لفعل القول، وهو فعل بناء لوجهات النّظر وكاشف للتّداوليّة (Intersubjectivité) المضمرة في النّص الأدبي وتقوم الإجراءات التي يعتمدها السيميائي على الأبنية الصّيغية (الرّبط بين الاعتقاد والمعرفة، التّصنيف المعرفي للفضاء...»⁽²⁾.

وكما تكلم "رودولف كارناب" في نظريته حول التّركيب المنطقي في تحليله للعبارات اللّغويّة، كون العلامة مرتبطة بالدلالة والتّداول

(1)- Voir ,Algirdas, j, Greimas, jacques Fontanille, Sémiotique des passions des états de choses aux états d'âme, Editions du Seuil paris, 1991, p: 21.

(2)- المصطفى شادلي، في سيميائيات التلقي، مجلة عالم الفكر (السيميائيات) إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 03، المجلد 35، مارس 2007 ص210.

حيث «عرفت نظرية التركيب المنطقي تطورا مع "كارناب" في سياق استثماره للمتصورات السيميائية في أثناء تحليل العبارات اللغوية تحليلا منطقيًا وهذا حتى يتمكن من إقامة نظرية عامة تستوعب تمظهر العلامة في أبعادها السيميائية كلها، وليس التركيبية وحسب، ذلك لأن العلامة لها أبعاد تتصل بالدلالة والتداول لا يمكن اختزالها إلى ما هو أقل من ذلك وفقا للبروتوكول الرياضي أو المنطق الثلاثي للعلامة الذي قدمه "شارل سندرس بورس" ومن ثم يمكن تقديم مقارنة عامة تمنح طابعا سيميائيا (وافيا وشاملا) لنظرية التركيب المنطقي»⁽¹⁾.

ولقد حدّد المشروع المزدوج "موريس/ كارناب" المعالم السيميائية للتركيب المنطقي في ثلاثة مجالات أو ميادين بحث هي: علم التركيب (Syntaxe)، الدلاليات (Sémantique)، والتداوليات (Pragmatique) على التوالي.

وقد ظهرت هذه المصطلحات غامضة للوهلة الأولى، حسب ما ذهب إليه "جون ليونس"، ذلك أن "موريس" حاول تدقيق هذا التقسيم بهدف ضبط السمات التصنيفية (Trait de la classification) طالبا الوضوح بغية إزالة اللبس عنها، وذلك لدمج الألفاظ الثلاثة في سيميائيات موجهة

(1) - ابن مسعود العربي، الدلاليات المنطقية، مجلة السيميائيات وتحليل الخطاب، منشورات الأديب، جامعة وهران، الجزائر، ع2، 2006، ص49.

نحو السلوك (Comportement) إذ كانت في البداية محدّدة على النحو الآتي⁽¹⁾:

1- التداوليّات: على أنّها دراسة العلاقات بين العلامات والمؤولين.

2- الدلاليّات: على أنّها دراسة العلامات في الموضوعات الممارسة.

3- علم التّركيب: على أنّه دراسة العلاقات الشكليّة بين العلامات.

وبعد الحصر السلوكي الذي قدّمه "موريس" أصبحت التّحديدات كالآتي⁽²⁾:

1- التداوليّات: هيّ جزء من السيميائيّات تعالج الأصل والاستعمال وآثار المعنى داخل السلوك.

2- الدلاليّات: تدرس العلامة في كلّ حدودها الممكنة.

3- علم التّركيب: يُعالج تنظيم العلامات دون الاشتغال بدلالاتها الخاصّة أو بعلاقتها بالسلوك الداخلي حيث تتمظهر.

وفي هذه المسألة تجاوز "كارناب" بداية التّركيب المنطقي اعترافاً منه بوجود ملامح دلاليّة وتداوليّة إلى جانب الملامح التّركيبية، ينبغي الإبانة عنها في نظرية تكاملية للغّة، وعبر عنها بثلاثة فروع هيّ:

1- التّركيب: يعالج الخصائص الصوريّة اللسانية.

(1) - ينظر: ابن مسعود العربي، الدلاليات المنطقية، مجلة السيميائيّات وتحليل الخطاب ص50

(2) - ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

2- الدّالّيات: تعالج العلاقة بين الوحدات اللّسانية والأشياء والحوادث والحالات، والعالم، الذي تحيل إليه هذه الكيانات، والعلاقة بين الجمل وشروطها ضمن عالم لا يبدّ أن يكون مقابلاً لحمل الحقيقة.

3- التّداوليات: تعالج خصائص الاستعمال مثل الحوافز النّفسيّة للمتكلم، وردود أفعال المستمعين، والجانب الاجتماعي لمختلف خطاطات الخطاب⁽¹⁾.

بمعنى أنّ الدّالّيات والتّداوليات هيّ عناصر أساسية وجوهريّة في التّحليل والكشف عن المعنى في العلامة أو الوحدات اللّسانية في التّركيب اللّغويّة، «فالتّداوليات من خلال موضوعها هيّ البحث التجريبي حول الألسن المعطاة تاريخياً، أمّا الدّالّيات الخالصة تدرس أنساق العلامات المكوّنة والدّالّيات الوصفية تدرس معاني العبارات في الألسن الطّبيعية تاريخياً»⁽²⁾ فالدّالّيات جزء من التّداوليات.

(1) - ينظر: ابن مسعود العربي، الدلاليات المنطقية، ص 52، 53.

(2) - المرجع نفسه، ص 53.